إبداعات جديدة

٥

السياسة على طبق فول

(قصص قصيرة)

فاطمة يعقوب

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

رئيس مجلس الإدارة

د. حسن أبو طالب

سلسلة إبداعات جديدة

تم التنفيذ فى مطابع دار المعارف
– ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة –
جمهورية مصر العربية

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

يعقوب، فاطمة.
السياسة على طبق فول: (قصص قصيرة). فاطمة يعقوب
- ط ١ - - القاهرة : دار المعارف، ٢٠١٥.
٧٦ ص ؛ ١٩،٥ سم. (إبداعات جديدة، ٥)
تدمك ٤ - ٨٢١٤ - ٠٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨.
١ - القصص العربية القصيرة.
(أ) العنوان.

ديوى ٨١٣،٠١

رقم الإيداع ٩٨٤٣ / ٢٠١٥ ١/٢٠١٥/١١

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت
إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

إهـــداء

إلى روح أمى الحبيبة
التى علمتنى الصبر على ما تأتى به الأيام.
علمتنى الكفاح فى الحياة لأصل إلى هدفى.
علمتنى الثقة فى رحمة الله بنا.
علمتنى العطاء دون انتظار المقابل.
علمتنى التفاؤل لمواجهة صروف القدر.
علمتنى الحب لكل من أتعامل معهم.
علمتنى الأمل الذى أصل به إلى الأفضل.
علمتنى الحنان على الضعيف والمحتاج.
أمى التى مازال عطاؤها مستمرا حتى بعد رحيلها.
أهدى إليها أولى مجموعاتى القصصية.

فاطمة يعقوب
٢٠١٤/١١

(١)
وجع الغلابة

عندما شق صوت الأسطى مدبولى سكون الليل؛ يسب ابنه كمال؛ فُتحت نوافذ بيوت الحارة.. أضيئت الأنوار، علت الأصوات، تغالب النعاس، تتساءل عما حدث؟.. ظل الحاج إبراهيم مستلقيا على سريره بجانب النافذة نصف نائم وكرشه يعلو ويهبط مع تردد أنفاسه المحبوسة وشخيره الذى يعلو، وينخفض، كأنه صوت وابور طحين انتهى عمره الافتراضى.. تخطته زوجته الحاجة نفيسه بعد أن طار النوم من عينيها، لترى ماذا يحدث فى الحارة، تململ الحاج إبراهيم فى نومه تنبه لما يحدث، توقف شخيره، انقلب على جانبه الآخر، سمع زوجته تسأل: جرى إيه يا ولاد؟! الله يقلق منامكم!.

جاء صوت زينب من أسفل: لأ مفيش، يا حاجة الأسطى بيتخانق مع كمال ابنه زى العادة.

ابتسم الحاج إبراهيم فى نشوة، عندما سمع صوت زينب... تنهد فى حرقة، حرك صوتها مكامن نفسه المشتاقة، فاستولى عليه الوجد، فتح عينيه، اصطدمت بمؤخرة زوجته.. أغمض عينيه مرة أخرى... وراح يحدث نفسه: فين كتل الشحم دى من غصن البان فى الملاية اللف السودة... والولاد.. آه هى دى نقطة ضعفه... عشر سنين جواز ولم أرَ الولد.. كل المال ده حاسيبه لمين؟

عادت الحاجة نفيسه تلقى بجسدها، على السرير تستدعى النوم وهى تقول: والله انت غلبان يا كمال.

ابتسم الحاج إبراهيم وهو يهمس لنفسه: والله انت اللى غلبان يا إبراهيم... ثم أكمل حديثه بصوت عال: كلنا غلابة.

رمقته الحاجة نفيسه بنظرة ناريه.. وهى تحدث نفسها: انت ميعجبكش حاجة.. يرحمك الله يا أبَه، جوزنى صبيه إبراهيم ودلوقتى مش عاجبه... كل فلوسه دى أصلها فلوس أبويه... ورثتها منه... ولكن إبراهيم ميعجبوش الحال... تنهدت فى حسرة... أعمل إيه أكتر من اللى عملته، الدكتور ورحت له، والمشايخ لفيت عليهم واحد واحد، والعملية عملتها أعمل إيه أكتر من كده، ربنا لسه ما أذنش بالخلفة.. يا ترى حيفكر يتجوز عليه؟.

تملكها شعور بالخوف أغمضت عينيها، تهرب من أفكارها وهى تقول: ربنا يستر.

علا صياح مدبولى، وهو يخرج من باب حجرتهم، مطاردا ابنه كمال، الذى انفلت من يده يجرى، وهو مازال ممسكا بسرواله، الذى وضع إحدى رجليه فيه ولم يكمل ارتداءه بعد...: والله يا جبان مانا عتقك..

هكذا هدد الرجل ابنه، ثم توقف على عتبة باب البيت الخارجى، بالملابس الداخليةِ... رجل فى منتصف العمر أبيض الوجه، أشقر الشعر، نعتوه بالخواجه منذ صغره لجماله... مزواج إلى حد الإدمان... ينتقل من امرأة الى أخرى... أم كمال إحداهن يأتى لزيارتها على فترات متباعدة، وغالبا ما تسفر زيارته عن طفل

جديـد، يزيد العبء على كمال أكبر الأبناء... الذى كتب عليه القدر أن يتحمـل تبعات مزاج أبوه، تحمل كمال ما لا طاقة له به، ليحافظ على إخوته الصغار... كمـال لا يتذكر متى آخر مرة ترك لهم أبوهم فيها نقودًا، رجل لم يتحمل يوما مسؤليته تجاه أسرته... عمل كمال فى كل مايخطر على بال وما لا يخطر أيضًا.. مرة فى السـهل ومرات فى الصعب...

وقف كمال فى أول الحارة يكمل ارتداء سـرواله وهو يصيح: والله لسيبها لكم وامشى شىء مقرف!

ليسـت المـرة الأولى، التى يهدد فيها كمال بهـذا... فكر كثير أن يهجر الحارة ومن فيها، ويعيش لنفسـه قليلا، ولكنه كل مرة يجبن عن التنفيذ، خوفًا على إخوته الصغار من التشـرد وقسـوة الأيام التى يعيشـها هو... يحاول توفير ما يسـتطيع، من المال ليستمروا هم فى المدرسة، ليكون حظهم أفضل من حظه... وهناء... آه إنها أجمل ما فى حياته،... آه لو وافقتْ أمها... ولكنها عندها حق... كيف... وبماذا أتزوج؟... بفقرى..؟! شـوح بيده فى الهواء، وهو يستدير خارجا من الحارة،... حتى لو وافقت أمها... من أين يأتى بالمال الذى يُمَكّنَه من الزواج بها؟... فهو يرزح تحت مسئوليته تجاه إخوته

تنهـد فى حسـرة قائـلا: ظروفك يـا كمال طـين... لا تفكر فى الجواز... ابتسـم فى سخرية... لا تفكر فى الجواز يا كمال... كفايه اللى عندك... هم ما يتلم... كفايه تحبها... أيوة كفاية تشـوفها كل يوم ولـو مرة... أطوى قلبك على ما فيه... هـو نصيبك من الدنيا... خرجت من صدره تنهيدة ضاقت منها أنفاسه، وكأن روحه ستخرج

من جسده، وضع كمال يده على صدره كأنما يساعد نفسه على التنفس وهو يقول: ربنا يعدلها...، جاء صوت أمه تناديه: تعال يا كمال تعال.

تراجع كمال خطوتين إلى الخلف... ينظر تجاه البيت،... امرأة في الثلاثين من عمرها ريفية... لم يذهب جمالها برغم فقرها وعوزها وكثرة إنجابها... تقف على باب البيت بقميصها الأحمر الذى يظهر أنوثتها وجمالها، تحرص على ارتدائهِ كلما جاء زوجها... شوح كمال بيده في ضيق وهو يقول: ادخلي... ادخلي... اقصرى الشر ادخلي. ابتعد كمال عن الحارة... ساد السكون مرة أ خرى.

ابتسمت زينب وهى تغلق نافذة حجرتها قائلة: والله انت غلبان يا كمال.. مَره معندهاش دم.

ارتمت بجانب صغيرها، تنتظر نور الصباح، أمامها كفاح مرير للحصول على ما يكفى ملء بطون صغارها... ومع إشراقة الصباح الأولى، وضعت زينب جلبابها الأسود فوق جسدها النحيل، وهى تتخطى أولادها الممددين على الأرض بجانب زوجها... الذى تنبه لحركتها... رفع رأسه يسأل: رايحه فين يا زينب؟

مصمصت زينب شفتيها في حسرة، وهى تجذب الطرحة السوداء، من فوق الحبل الممدود بين ركنى الحجرة، يحمل كل متاع أسرتها الصغيرة، المكونة من زوجها المريض وثلاثة أطفال أكبرهم في الخامسة من عمره... انحنت على صغيرها تستعدل رأسه وهى تقول: يعنى يا حسرة حروح فين... رايحة أجيب حبة خضار قبل ما النسوان. يخلصوا عليه.

دفن زوجها رأسه بين ذراعيه وهو يقول: اصبرى يا زينب... بكره ربنا يعدلها واشتغل.

فتحت زينب باب الحجرة، وقالت بينما تهم بالخروج: إن شاء الله...

أكمل زوجها جملته: يشفينى أو ياخدنى وارتاح وأريحك.

اخترقت الجملة الأخيرة سمعها لتستقر فى قلبها غصة، أشعرتها بألم الخوف يعتصرقلبها رفعت صوتها من خلف الباب حتى يسمعها قائلة: ومين قال لك إنى تعبانه... خليك فى نفسك وربنا يعدلها إن شاء الله ويشفيك قادر يا كريم.

خرجت زينب إلى الشارع الكبير، بعد أن اجتازت الزقاق الضيق.. تحتضن مخلتها التى صُنعت من بقايا الملابس البالية؛ لكثرة استعمالها سنين طويلة، يلبسها الصغير بعد الكبير... تنفست هواء، الصباح الندى، بعيدا عن رطوبة الحجرة ورائحتها العفنة... تنهدت فى حسرة، الحكيم قال صدره تعبان قوى، ويحتاج إلى جو جاف... أين تجد الجو الجاف والحجرة كلها رطوبة تأكل فى أجسادهم، وما زاد وغطى، الهباب اللى بيتعاطاه، كل ليله، منك لله يا معلم عباس من يوم ما اشتغل عندك وعلمته شرب المخدرات؛ وهو فى النازل... خرجت من صدرها زفرة حارة، تنفست بعدها بعمق، خففت ما اعتمل فى صدرها من ضيق، حتى القروش القليلة، التى كان يحصل عليه زوجها، انقطعت بانقطاعه عن العمل، وهى خلال عملية الشراء، تستميت فى المساومة، مع البائع لتوفر ولو قرش واحد تضعه، فى ثنايا ثدييها، مع ما ادخرته من قبل، تنهدت فى حسرة وهى تتذكر، إنها الآن لا تمتلك سوى قروش قليلة،

حصلت عليها ثمن للزجاجات البلاستيك الفارغة التى ألقتها الحاجة نفيسه، أمس على السلم، باعتها لبائع الروبابيكيا، بقروش قليلة، لا تضمن أن تكفيها للحصول، على ما تحتاجه لطعامهم اليوم، فى السابق كانت تعلم هدفها، من مشوارها اليومى إلى السوق، أما اليوم، فهى لا تدرى، ماذا تفعل؟، كانت تذهب إلى السوق وتعود محملة بأصناف لا بأس بها من الخضروات، والفاكهة، أو ما يمكن أن يطلق، عليها فاكهه جوازا، ليرضى بها الفقراء أمثالها، كانت تعود، بما يسد رمق الصغار، لم يكن يهمها النوع، بقدر ما تهمها الكمية، التى تكفى لإسكات، صرخات البطون الجائعة والأفواه المفتوحة، التى تنتظرها فى البيت... تحاول بشتى الطرق، أن تدفع فيها، أقل ثمن ممكن مدبرة، أمرها بالقروش القليلة، التى يحصل عليها زوجها من عمله، للمرة ثانية أو ربما العاشرة، تحسست قروشها القليلة، المخبأة، بين طيات ثدييها، تطمئن على وجودها، ليس معها غيرهم، هذا الحال يتكرر فى حياتها مرات كثير، فصحة زوجها فى تدهور، مستمر حتى عجز عن تحمل أعباء العمل فى القهوة، من لف ودوران على قدمية طول اليوم، بين موائد الزبائن والحوانيت الواقعة حول القهوة، يلبى طلبات الزبائن وحين رقد مريضا... لم ينسى المعلم عباس صاحب القهوة طبعا زيارته للاطمئنان عليه، واختلاس النظر إلى زينب كعادته، اقشعر بدنها حين تذكرت نظراته النهمة، تحسست القروش مرة أخرى... الحمدلله... على الأقل معها اليوم، ما يمكنها أن تشترى به ما يكفيهم، لن تحتاج إلى الذهاب الى المعلم طلبا لنقود، ولكن غدا، ماذا ستفعل؟... غمرتها الحيرة، جعلتها تتنهد وهى تنظر إلى السماء قائلة: ربنا يعدِّلها.

أســرعت الخطى لتلحق بـ على بائــع الخضار... نظرت إلى حيث يقف يوميا... لم يأت بعد... النســوة ينتظرنه، جالسات على حافة الرصيــف المقابل للمســجد، يتبادلن الأحاديث وفــى أغلب الأحيان المشــاحنات، على أتفه الأســباب، وكأنهن يتخلصن من أثقال تجثم على صدورهن من المشــاكل والهمــوم، التى تنخر فى أيامهن، راحت أم هناء تحكى لزينب

قائلة: البنت لا تريد غيره.

ردت زينــب قائلة فى فتــور: كمال طيب وحنــين، انت طماعة والبنت لها الستر.

مصمصت أم هناء شــفتيها وهى تقول: الستر منين يا حسرة، هو قــادر على تربية اخواته، أنا مش عاوزها يا زينب تعيش فى الغلب طول عمرها، وتقاسى اللى بنقاســيه، أنا مش عاوزلها نصيبى المايل يا زينب، أنا عاوزلها، تاجر مليان مش عريس كحيان.

شردت زينب ولم تعلق وهى تحدث نفسها: إرحمينى يا أم هناء، أنا مش نقصاكى وناقصه همك ومشاكلك، سبينى فى حالى.

لاحظــت أم هناء صمت زينــب، فقالت: فيكى إيه يا زينب؟ إزى جوزك؟

تنهــدت زينب وهى تقول: زى ما هــو... الحكيم كتب له أدوية كتيرة... لكنى مقدرتش اشتريها، العين بصيرة، والإيد قصيرة، زى ما انت عارفه.

قالت العجوز بسرعة مقتنصة الفرصة التى جاءتها: لأ أنت عارفة ولكنك مش عاوزه.

قالـت زينب وهى تشـيح بوجهها بعيدا: أخدم عنـد العزاب يا أم هناء؟

قالت أم هناء: وليه لا حيعطوكى فلوس ولا لأ؟

قالت زينب وهى تنهض مبتعدة: لا... لا... يا أم هناء أنا ماحبش الشغل ده.

قالـت أم هنـاء: إسمعى كلامى هُـمْ يومين، فى الأسـبوع بس، وتقبضى الفلوس اللى انت عاوزاهم.

ظهرت عربة عَلِى، بائع الخضر، على أول الشارع، أسرعت زينب مع باقى النسوة مهرولات، إلى مكان وقوفه.

وهن يصحن: تأخرت ليه يا على؟

امتدت أيديهن، إلى سـلال الخضر والفاكهة العطبة، تتخاطفنها قبـل أن تسـتقر العربة فى مـكان، صرخت إحداهن فـى الأخريات ليوسعن لها مكان لتمد يدها من خلاله، لتختطف ما تلمسه أصابعها، لا وقت للانتقاء، كل ما على العربه أو نصفه على الأقل لا يصلح طعاما لآدمى، ولكن الحال يتطلب ذلك، كان عَلِى يبرر فعلته

ويقول: كله بتمنه... خللى الفقير ياكل... كله لله... كله لله خللى الغلابه ياكلوا...

يبيعه بقروش قليلة، بعيدا عن نار الأسـعار المسـتعرة، فى سوق الخضار فهو إن لم يبعه بقروش قليلة، سـيضطر فى نهاية اليوم إلى إلقائـه فى مقلب القمامة، وهن يعرفن ذلك، ولكن ماذا يفعلن بقروش قليلة لا تنفع لشـراء أى شىء... كن يتبادلن الشتائم والسباب، أثناء اختطاف أكبر قـدر ممكن من تلك البقايا، وفى اليوم التالى يجلسـن

متجاورات، يتبادلـن الأحاديث، وتبادل الهموم والشـكوى، وكأن شـيئا لم يحدث بالأمس، وكأن هناك قانون بينهن، غير متفق عليه، مشـاجرة على الانتقاء، لا تفسـد للود قضيه، كل واحدة كانت تشعر بتماثل همومها، مـع الأخريات، القروش قليلـة، والأفواه كثيرة، وأسـعار مرتفعة، والزمـن لا يرحم والفقير يريـد أن يعيش، يحفر بأظافـره، فـى الصخر حتى يحصـل على قوت يومه، وإلا سـيموت جوعـا، كان عَلـي الخضرى يعلـم أن ما على عربتـه لا يصلح طعاما لآدمى.. ولكنه يفلسـف بيعه للغلابة.. بأن هذا أفضل من خسـارته كانت عيناه ترقبهن حتى لا تتسرب إحداهن دون دفع ثمن ما أخذته، كن يعلمن أن عليا الخضرى يحرص على أخذ أكبر قدر من قروشـهن ثمنا لما يأخذن، لا يسـمح لإحداهن بالتسـويف أو الشراء بالأجل... فهـو لا يضمن أن يكون، غدهـن أفضل من اليـوم، فأيامهن متماثله فالتى ليس معها اليوم من أدراه أن يكون معها غدا ما تدفعه... فالغد لا يعلمه إلا الله سبحانه... كان هذا منطقه فى التعامل معهن... وكان رأيهـن فيه أنه... طمَّاع... ورغم ذلك لا يوجد أمامهن غيره، يبكرن فى الحضور، و ينتظرنه، فبدونه لن يسـتطعن الحصول على ما يسد رمـق الجوعى المنتظرين فى البيوت... يعلو صراخه فيهن وصراخهن فيـه... وصراخهن فيمـا بينهن،حتى يأخذن ما اسـتطاعت أيديهن اللحـاق به... ثـم تدفع كل واحـدة منهن بقروشـها القليلة إليه... وتسـير فى حال سبيلها... حملت زينب إحدى السلال وانتحت بها جانبا تنتقى منها ما تشـاء... تبعتها امرأة أخرى... صاحت زينب فيها وهى تبعد يدها التى مدتها تسبق يد زينب إلى السلة

قائلة: شيلى إيدك يا وليه هو مفيش غيرها؟

تراجعت المرأة خوفا منها وهى ترمقها فى حقد... دست زينب كل ما فى السلة فى مخلتها حتى امتلآت عن آخرها وهى تحدث نفسها قائلة: كله ينفع.

أخرجت قروشها القليلة من بين طيات ثدييها... مدت بها يدها إلى.. عَلىِ الخضرى.. الذى أطبق على يد زينب قائلا فى تودد: خلى يا زينب... خلى يا أم محمد.. خلى والنبى

سحبت زينب يدها بسرعة وهى تصيح غاضبة: كتر خيرك يا خويا.. قول يا صبح يا على.

تهامست النسوة حولهما... رنت ضحكة أم هناء وهى تغمز بعينها لعلى، ابتعدت زينب عن المكان بسرعة لتلحق بصابر بائع الفول على باب الحارة، يلتف حوله الصغار والكبار يتناولون إفطارهم، بينما... ميخة... صبيه، يتحرك فى نشاط، يلملم بقايا الخبز ليضعه فى حقيبة معلقة على يد العربة بيد، وبيده الأخرى يُلَمْلم الأطباق الفارغة، من أمام الزبائن ليضعها، فى دلو الماء المعلق على اليد الأخرى من العربه، يغسلها ثم يرصها بجانب كومة الأطباق النظيفة، أمام معلمه صابر، جاءت أم هناء، ووقفت بجانب ميخه تتبادل معه الهزار، وتضربه على صدره ضاحكة، بعد أن همس لها بإحدى النكات الخارجة... رفع ميخه رأسه إلى أعلى حين سمع أحمد بك، يناديه ليضع له الصحيفة اليومية، فى السلة المدلاة من الشرفة، صاح ميخه: حاضر يا بيه... الأهلى حديد، شفت المباراة إمبارح.. هناخد الدورى إن شاء الله... وضع.. ميخه.. الجريدة فى

السلة... انتهزتها أم هناء فرصة وتناولت كومة من أرغفة الخبز تدسها فى حقيبتها المتلئة دائما، مرة بالشحاذة ومرات بالسرقة صرخت زينب: اتقى الله يا مَرَة كفاية.

صاحت أم هناء تدارى فعلتها فى بجاحة: إيه يا زينب... عاوزة إيه هعطى صابر ثمنها، ولا فكرانى هسرقها.

قالت زينب فى سخرية: لا سمح الله ذمتك نضيفة.

حين وصلت زينب إلى البيت، كان الحاج إبراهيم يهبط، على درج البيت تشيعه دعوات زوجته الحاجة نفيسة... همس حين رأى زينب: صباح الخير يا زينب.

قالت زينب وهى تضع مخلتها على الأرض: صباح الخير ياحاج... تفضل.

قال الحاج إبراهيم وهو يتلكأ: إزى حال أبو محمد النهاردة؟

قالت زينب فى أسى: نحمده يا حاج... تعبان قوى

قال إبراهيم: أخد الدوا؟

قالت زينب بخجل: لأ والنبى لسه.

قال إبراهيم: ليه مافيش فلوس؟

قالت زينب: يعنى يا حاج ربنا يفرجها

قال إبراهيم: هاتى الروشتة وأنا ابعت أجيب له الدوا هاتى

أسرعت زينب بالدخول إلى الحجرة تلتقط الروشته وخرجت بسرعة وأعطتها له

وهى تقول: كتر خيرك يا حاج ربنا يعّوض عليك يارب

اندفع أولاد زينب يلتفون، حوله كعادتهم فى إنتظار، ما يهبهم من نقود كل صباح أدخل إبراهيم يده، فى جيب جلبابه، ليخرج

نقودا فضية، ومنح كل واحد منهم قرشين زغرد قلب زينب فرحا، وهى تحدث نفسها: الحمد لله هينفعوا بكره.

صاحت زينب من وراء قلبها: كفايه يا حاج خيرك مغرقنا.

قال الحاج فى فرح: إنت عارفة يا أم محمد أد إيه بحبهم.

قالت زينب وهى تصيح لتسمعها الحاجه نفيسة: ربنا يخليك يا حاج ويرزقك بالذرية الصالحة إن شاء الله.

تنهد الحاج فى أسى وقال: إن شاء الله يا زينب؟.. كان نفسى يكون لى ولد يحمل اسمى من بعدى ويورث أعمالى وأملاكى.

قالت زينب تواسيه: قول يارب يا حاج كله بأمره.

خرج الحاج إبراهيم وهو يردد: يارب.

سمعت سعال زوجها... دلفت إلى حجرتها ووضعت ما تحمله على الأرض

وهى تقول: هعملك كباية شاى يدفى صدرك.

تذكرت النقود التى مع الصغار.. أسرعت تعود إلى خارج الحجرة تنادى على صغارها قبل أن يسرعوا إلى بائع الحلوى... وجدتهم هناك يتشاورون، ويقلبون القروش، فى كفوفهم الصغيره، يحلمون بما سيشترون، قالت زينب تستعطفهم وهى تمد يدها لهم: ادوهالى نشترى أكل بكره.

صاح أكبرهم فى تزمر: عاوز كورة ألعب بيها.

صاحت الصغيرة: أنا كمان عاوزه لبان.

قال الأوسط: وأنا عاوز مصاصة.

قالت زينب وقلبها يعصره الحزن: الأكل أهم.

دمعت عيون الصغار وهم يمدون أيديهم إلى أمهم بكنزهم الثمين... شعرت زينب بغصه فى قلبها، وهى ترى حزن صغارها ودموعهم والحسرة ارتسمت على وجوههم البريئة تراجعت بسرعة قائلة: لا تبكوا، خذوا كل واحد قرش بس... ماشى؟.

فرح الصغار بالقليل أفضل من لا شىء هاتفين معا: ماشى.

تناول أكبرهم القروش الثلاثة وأسرع إلى الشارع بسرعة، وكأنه يخاف أن تغير أمه رأيها، يتبعه أخويه، صارخين... محمد محمد استنى.

ارتفع سعال زوجها مرة أخرى... دخلت إلى الحجرة تجذب طرحتها السوداء المعلقة على الحبل وهى تقول: هحضرلك تليو أحسن.

ذهبت زينب إلى عبده العطار... كان كالعادة يغلق باب المحل الجانبى، ويجلس فى ركن المحل ومعه إحدى السيدات... ابتسم حين رأها وهب إليها قائلا: صباح الفل.. أأمر يا قمر، مدت يدها بالقرش، وهى تقول: هات بقرش تليو يا عبده.

قال عبده فى هدوء وهو يهمس: حاضر من عنيا، بس اطلبى.. تعالى أقعدى معايا.

نظرت زينب إليه فى غيظ وقالت: هات التليو يا عبده وخليك فى اللى انت فيه... خلّصنى.

وضعت زينب كوب التليو أمام زوجها وهى تجلس بجانبه

قائلة: إشرب يدفى صدرك ويخفف الكحة، نظر إليها فى حنان وقال: تعبت يا زينب... تعبت قوى.. سامحينى.. بكرة ربنا يعدلها

قالت تخفف عنه ألمه: إن شـاء الله يا مصطفى... ربنا كبير مبينساش حد، الحاج هيشترى لك الدوا، وتاخذه وتشفى بإذن الله.

قـال مصطفى: ربنا يعطيه، رجل خـيِّر... الحمد لله بكره أرد له كل مليم صرفه إن شاء الله

قالت زينب: إن شاء الله

طهت زينب ما أحضرته من خضروات... عثرت على حبة كمثرى بينهـا... خبأتها حتى نام الصغار... وفى المسـاء، ناولتها لزوجها وهى تهمس: كُلْهَا أنت محتاج للغذا.

قال وهو يزيح يدها بحبة الكمثرى: لا... كليها انتى.

قالت: لا أنت أولى... والنبى ما ياكلها غيرك.

قال فى إصرار: لا... لا أعطيها للولاد.

ألحت عليه حتى أكلها.. وضع يده على كتفها فى حنان وشوق... شب حريق فى جسدها

انتفضت من جانبه بسرعة قائلة: تصبح على خير... نام وارتاح.

تمددت بجانب أصغر أبنائها تدثره بالغطاء الخفيف الذى لا يقى برد الليل... احتضنته تدفئه بحرارة جسمها... وهى تواسى نفسها بـأن زوجها معتل الصحة، من الأفضـل أن تنام بعيدا عنه همس لها بصوت واهن: زينب... تعالى هنا جانبى.

قالت فى حدة: لا... أنا مرتاحه هنا... نام انت وارتاح... الدكتور قال متجهدش نفسك.

احتضنت الصغير أكثر، وهى تقول لنفسـها: فين النِفْس للى أنت عَاوزَه، همى دلوقت هأكل الولاد بكرة إيه؟!.

أغمضت عينيها تستجدى النعاس متمتمة: بكره المولى يعدلها.
تحسست القروش التى خبأتها بين ثدييها، وبظهر كفها مسحت دمعة حارة انحدرت على خدها، تتغافل عن سببها الحقيقى.

□□□

(٢)
زمن دوار

انتابهـا الدوار.. ربما يكـون الضغط.. دخلـت إلى حجرتها... تمددت على الفراش تعودته منذ فترة قصيرة.. قال الطبيب ضغط دم مرتفع... أوصاها بتجنب الانفعالات والإرهاق.. ابتسـمت فى أسى.. كيف تتجنب ذلك وفى الحياة ما فيها.

مرت لحظات شـعرت بعدها بتحسـن.. نهضـت إلى المرآة نظرت فيهـا... مرت بيدها على وجهها.. مازال غضا لم تقربه التجاعيد... تذكرت تعليقات الأقارب والزمـلاء فى العمل حين علموا بأن ابنتها الكبرى أنجبت أول أحفادها: ستكونين أصغر جدة بيننا.

أسـعدها تعليقهم واليوم ماذا دهاها؟... منذ وصول الصغيرة وهى عصبية... تنهدت فى حيرة.. المهم ليس ما تسـمع.. المهم ما تشـعر به هى، كانت تطمئن نفسها بأن كونها أصبحت جدة لا يمنع أن تظل شـابة، على الأقل فى عين زوجها، قررت أن تطرد إحساسها بالكبر هذا الذى انتابها فجأة... هل الإحساس بالكبر يلزمه عدد من السنين ليؤكده؟؟؟ تذكرت قولة زوجها ذات مرة: الشباب شباب القلب ليس له علاقة بالمظهر الخارجى.

مازالـت فى أوائـل الأربعين من عمرها، ورغم ذلك تشـعر بثقل الأيـام علـى كاهلهـا.. العمل والبيـت والأولاد ومشـاكلهم و.. و.. وتناولت المشـط مررته على شـعرها انسـاب بين طياتـه الناعمة...

تفحصت خصلاته... لاوجود للشعر الأبيض بعد... أسعدها ذلك... لمحت علبة صغيرة أمامها... سألت نفسها.. منذ متى لم تنتبه إلى وجودها هنا... فتحتها... تناولت الفرشاة... مررتها على خديها... تغير لونهما إلى الوردى... كحلت عينيها... زاد جمالها.. غمرتها لحظة مرح صبيانيه... أكملت زينتها بأحمر الشفاة الوردى الذى يحبه زوجها... تنهدت وهى تتذكر أيام زواجها الأولى وكم كانت شابة تتمتع بالكثير من الجمال والحيوية... أخذ الأولاد من صحتها الكثير.. رغم مرارة هذا الإحساس الذى انتابها وتشعر به منذ أيام... نظرت إلى المرآة أشرق وجهها وهى تقول لنفسها...: مازلت شابة... نهضت إلى دولاب ملابسها... فتحته تفحصت ما فيه من ملابس... بعضها لم يعد يناسب حجم جسمها المتزايد... برغم ذلك احتفظت بها... ترى ماذا ترتدى اليوم؟... وقفت حائرة بعض الوقت ثم مدت يدها إلى الثوب الوردى طالما أحبت ارتدائه.

جلست على حافة الفراش وهى تمسك بالثوب... ماذا دهاها؟ وماذا تريد أن تثبت؟، ، ومما تخاف؟... أهو إحساسها بالكبر؟... أم خوفها من إحساس زوجها بذلك... أتريد أن تؤكد شبابها؟ أم تحاول درء تلك المشاعر التى تستشعرها منذ أيام؟.. خلعت ملابسها ارتدت الثوب الوردى... معقول لكنه ضاق قليلا عند الخصر... تناهت إليها بعض الأصوات خارج الحجرة دخلت ابنتها الصغرى تعلنها بوصول بعض المهنئيين

..لمحت ما صنعته أمها بوجهها.. لم تتعوده منها من قبل... ضحكت فى خبث وهى تقول: إيه ده يا بطوط.. إيه الحلاوة دى.. شباب والله شباب. بس ليه النهاردة بالذات.

نظرت إلى ابنتها وقد اكتسى وجهها بحمرة الخجل... صرفتها وأغلقت الباب.. لماذا خجلت من ابنتها؟... أصابها بعض الاضطراب... ولكنها قالت الحقيقة.. لماذا اليوم بالذات أتخاف الأيام؟ أم تخاف أثار مرورها عليها؟... أخرجت زفرة حارة من صدرها... مدت يدها إلى علبة المناديل الورقية... أزالت ما فعلته بوجهها... عادت إلى طبيعتها.. خلعت الثوب الوردى وارتدت آخر كان حديث الصنع... هذا أفضل ومناسب لحجم جسمها الآن؟... قالتها وهى تبتسم.. مفيش فايدة.. هل ستعاند الأيام؟.. أم تعاند أثارها عليها؟.. وضعت الطرحة على رأسها وخرجت إلى حجرة الضيوف..

:أهلا ماما ستو.

هكذا استقبلوها وكأنهم يؤكدون ما تخافه.

:مبروك.

:الله يبارك فيكم... زمن دوار مرة أمهات ومرات جدات.. البنات كده يكبرونا بسرعة.

جارتهم فى مجاملتهم الخبيثة... طلبو رؤية المولود... ذهبت لتحضر الصغيرة... مدت يدا مرتعشة إلى اللفافة البيضاء المستقرة على سرير صغير... دق قلبها فى فرحة غامرة اجتاحت جسدها قشعريرة عارمة حين ضمتها إلى صدرها.. جاشت نفسها بالكثير من المشاعر تدفق الحنان إلى ثدييها... نفس الإحساس الذى اعتراها منذ عشرين سنه... حين حاولت أن تلقم ابنتها ثديها لأول مرة... حملت الصغير قائلة:

:تعالى يا روحى.. تعالى لحضن ماما... ماما ستو.

(٣)
حكاية أمينة هانم

كنت أراها يوميا تتسكع، فى شوارع حى الظاهر وحاراته، بملابس متسخة باليه فى بعض الأيام، ونظيفة وجديدة فى بعضها الأخر، تحمل حقيبة بلاستك، والنبوت فى يدها تتوكأ عليه وتضرب به من تسول له نفسه من شباب متهور أو أطفال لم يُحْسَنْ تربيتهم فيتعرضون لها بالمعاكسة أو يسيرون خلفها مناديين عليها: مس أمينة.. أمينة هانم.

سيدة فى حوالى الستين من عمرها، جميلة راقية فى تعاملاتها مع الناس، جميع أهل الحى يتعاملون معها باحترام، وتتكفل زوجة الحاج حسن الفسخانى باستضافتها فى بيتها لتستحم كل أسبوع ثم تهديها ملابس جديدة كلما اهترأت ملابسها، وتصر هى على حمل ملابسها بعد غسلها فى حقيبتها، ولا تتركها لديهم أبدا، وبعد الاستحمام، كانت تهرول بسرعة مغادرة الشقة، هى فى هروب دائم من أى بيت له أربعة جدران، كانت تعود إلى الشارع فورا كأنها تهرب من شىء تخافه، وفى أخر الليل تجدها فى بير السلم فى بيت الحاج حسن الفسخانى، نفس المنزل الذى تقع فيه صيدلية الدكتور أحمد، هناك تنام ملتفه ببطانية فى الشتاء أو كوفرتة فى الصيف، بعيدا عن متاعب الطريق وتحرش بعض المنحرفين بها، كانت

دهشتى كبيرة من أحوالها، برغم ما هى فيه من تشرد تجدها ترتدى الإيشارب على شعرها بأناقة، وعندما تجلس لتأكل، تفرش أمامها مفرشا متقن التطريز رهيف الحواف، لتضع عليه ما تأكل حتى لو كان سندوتش الفول الذى يرسله لها (صابر) بائع الفول كل صباح، وبعد أن تنتهى من الأكل تمسح فمها بأحد المناديل الورقية التى تحملها فى حقيبتها، ثم تطوى المفرش بعناية لتضعه فى حقيبتها.

كنت كلما صادفتها فى الطريق، طوحتنى متاهة الاحتمالات بعيدا، ماذا يمكن أن يصل بمثل تلك المرأة إلى هذه الحال...؟ وبالرغم مما هى فيه من فقر وتشرد ترفض الصدقه من أى يد تمتد إليها بالنقود، ترفض النقود رفضا باتا تكرهها أشد الكراهية، ويصل بها الحال إلى المشاجرة مع من يعطيها نقودا، حاولت فى إحدى الأيام أن أعطيها مبلغا من المال لمساعدتها، وكانت لحظة ندمت عليها، بعد أن لوحت فى وجهى بنبوتها قائلة: امشى امشى من هنا امشى... امتنعت عن محاولة إعطاءها أى شىء منذ ذلك اليوم، أخاف الاقتراب منها، كانت ترفض المساعدة من أى إنسان وتنهره بشكل عنيف؟! تخاف من الجميع، شعرت أننى لابد أن أعرف عنها المزيد عن سبب ما هى فيه... زاد عندى حب الاستطلاع لأعرف عنها أكثر... جاءتنى الفرصة حين دخلت صيدلية الدكتور أحمد والتى كانت أمينة هانم تجلس على بابها فى ذلك الوقت

سألته: ماذا جرى لها وأوصلها إلى هذا الحال؟!!

قال الدكتور أحمد: الكثير والكثير من الأحداث التى أدت بها إلى دخول مستشفى الأمراض النفسية ثم خرجت بعد مدة وبعد أن

تدخـل الكثير من أهل الحى الذين عاصـروا ما حدث لها ليخرجوها من المستشـفى، هـى الآن كما ترى أصبحت مسـنة ومريضة، تقضى يومها جالسـة بجانب الصيدلية، أرعاها بالدواء والطعام، سمعنا فى تلـك اللحظة صراخها، بألفاظ تدل علـى تربية وثقافة عالية، كانت تتشـاجر مع عامل الصيدلية الـذى دخل فى تلك اللحظة يعرض على الدكتور علبتين من اللبن والعصير قائلا: مش عاوزه العصير ولا اللبن.

وجـدت الدكتـور أحمـد ينهره بشـدة قائلا: إنت عـارف إنها لا تشرب إلا نوع معين اشتريت لها نوع غيره ليه؟.

خرج الدكتور يسترضيها ويعنفه أمامها ويأمره باستبدال العصير واللبن ليأتى لهـا الماركة التى تحبها... زادت دهشـتى، ووجدتها فرصة لأعرف أكثر عن أمينه هانم.

فقلت: احكى لى عنها يا دكتور، ما حكايتها؟

قـال: عجيبة... لـن تصدقيها.. هذه المتشـردة كانت فى يوم من الأيام هانم بمعنى الكلمة مدرسـة لغة فرنسـية فـى إحدى مدارس البنات

قلت فى دهشـة: معقول؟!! وماذا حدث لها حتى وصلت إلى تلك الحالة؟

قال: زوجها... زوجها هو السـبب، أعطيت أذنى وانتباهى كله إلى الدكتور أنصت إليه فى اهتمام، وهو يحكى قصتها.

أول يوم أقابلها كان فى أول أيام افتتاحى للصيدلية حين جاءت لى تطلب دواء للصداع نطقت اسم الدواء بشكل أدهشنى من امرأة متشردة مثلها..، أعطيتها الدواء يومها، فطلبت كوبا من الماء المعدنى، مما زاد دهشـتى لطلبها، وصممت على معرفة قصتها لهذا رحت أسأل كل من

يعرف عنها شيئا، وأتقرب منها خطوة بعد خطوة حتى أصبحت ترتاح للحديث معى وتـتـردد على كثيرا تطلب الطعام واللبن والعصير، بعد أن اطمئنـت للطف معاملتى لها، وتلبيتى لمطالبها دون تذمر، وكأنها كانـت فى حاجة إلى أحد تضع فيه ثقتها، لهذا طالت جلسـتها معى حتـى أصبحت تقريبا تقيم أمام الصيدلية هكذا، تطلب نوع بعينه من العصائر، ومـاء معدنيا وألبانا من أفضل الأنواع لا ترضى عنها بديل، فكنت ألبى لها كل ما تطلبه، وأنتهز فرصة خلو الصيدلية من الزبائن فأخرج إليها أتجاذب معها أطـراف الحديث... حتى بدأت تفضفض عما يعتمل فى صدرها، لاحظت أنها فى بعض الأحيان تتبدل طبيعتها وتصبح عصبية وشرسة إلى أبعد حد وفى فترات أخرى أجدها بشوشة وفى لحظة من تلك اللحظات التى تكون فيها هادئة... بدأت بالشكوى من سـيد عامل الصيدلية الذى يقلق راحتها فى الصباح بحجة تنظيف الرصيـف.. ثم بدأت تحدد نوع علبة الحليب التى أقدمها لها يوميا.. ودون أن أسألها عن قصتها وما حدث لها... بدأت ذات يوم وكانت تمر بنا بعض تلميذات المدرسـة الثانوية القريبـة، كن يتضاحكن بصوت عال... وجدتها تمصمص شفتها فى حسرة وتقول: جيل!! أيام كنت فى المدرسة أدرس لهن لغة فرنسية.

قلت أستَحِثهَا على الكلام: وماذا حدث؟

قالت فى عصبية: لا.. لا تسألنى عن شىء.

ثم شـردت قليلا ثـم عادت إلى الحديـث من تلقاء نفسـها: كان طالباتـى يحبوننى جـدا وكانت إحداهـن تأتينى كل صبـاح بوردة حمراء.. ولم يكن يعجبه هذا.

قلت: من؟

قالت: هو..!!

قلت: من هو؟

قالت: هو!!

شعرت يومها بعدم رغبتها فى ذكر اسمه.. قلت: لماذا لم يعجبه

قالت: لا أعرف، كان يغار علىّ جدا.. برغم أننى كنت أحبه كثيرا.. ولكنه

كان يثور كلما أتيت بالوردة الحمراء إلى المنزل... حتى اضطررت إلى إلقائها فى الطريق قبل أن أصل إلى المنزل كنت أحب وضعها فى الفازة.. لأستمتع بجمالها ورائحتها.

ولكننى كنت فضلت أن أتجنب عصبيته، فأتخلص منها فى الطريق قبل أن أصل إلى منزلى.. كنا نسكن فى شارع الشرفا... ثم شردت يومها وصمتت باقى اليوم.. فلم أقاطع شرودها ولم اسألها عما حدث لها.. ظلت على صمتها... حتى وجدتها ذات يوم تقول لى: كانت شقتى فى الدور الثانى على شارع رمسيس.. كنت أحبه وأنفذ رغباته دون نقاش، رغم ذلك كان يشيع عنى دائما أننى عنيده... كان أبى يناصرنى أحيانا وفى كثير من الأوقات يكون معه انتهزتها فرصه فى هذا اليوم لأسألها عن أسرتها فقلت لها: وأين أهلك؟

شردت يومها قليلا ثم قالت فى أسى: ماتوا جميعا حتى أخى الوحيد مات.

يومها شعرت بالأسى العميق عليها، وقررت أن أكون بجانبها دائما بالرعاية خصوصا بعد أن سمعت ما حدث لها بعد ذلك؟

قلت: ماذا حدث؟

قال: علمت أنها لم تنجب وكان السبب زوجها، برغم ذلك تحملت تعليقات من حولهما وأحجمت عن البوح بالحقيقة حتى لا تجرح رجولته... كان زوجها طيارا مدنيا من عائلة ثرية مثل عائلتها كانا متحابين جدا فى بداية حياتيهما الزوجية، ولكنه بعد أن اكتشف عدم قدرته على الإنجاب، وشعوره بالنقص، تغيرت معاملته وأصبح عصبيا يسيئ معاملتها ثم بدأ يهجر البيت ويتأخر إلى ساعة متأخرة من الليل ثم أصبح يبيت خارج البيت، تفاقم الشجار بينهما حتى وصل إلى الضرب خاصة بعد أن أصبحت وحيدة بموت والدها وامتلاكها لإرث كبير أموال طائلة وعقارات، بددها بعد أن حصل منها على توكيل عام استحوذ به على أموالها ليبددها فى لعب القمار، وفى نهاية الأمر، طالبها بمرتبها الذى كانت تعيش منه، عندما رفضت إعطاؤه حبسها فى البيت، ثم ازدادت قسوته عليها بأن حبسها فى حجرتها يغلق عليها المفتاح ويتركها بلا طعام، انهارت أعصابها وراحت تصرخ حتى تدخل الجيران لينقذوها منه، وفى النهاية أحرق الشقة وهى بداخلها ليتخلص منها طمعا فى ميراثها، ولكن الله أنقذها من الموت حرقا بعد أن أتت النار على كل محتويات الشقة وأصبحت هى منذ ذلك اليوم فى الشارع... قلت: ولماذا لا تعيش فى شقتها؟

قال فى أسف: لأن زوجها تنازل عن الشقة لصاحب البيت ورفض الأخير إعادتها لها.

قلت: أعوذ بالله من الطمع ماذا جرى للناس!!

قال: الحمد لله، أصحاب القلوب الرحيمة هنا كثيرون يعطوننى ما يجودون عليها به وأنا أقوم بالصرف عليها ومعالجتها.

قلت: الحمد لله أكثر الله منهم.

انصرفت يومها من عنده وأنا أحمل فى قلبى غصة مشـفقة عليها، مرددة: بالتأكيد هى من يلقون إلى الله بنواصى أمورهم.

□□□

(٤)
أين ابنتى؟؟

التف الصغار حولها يتساءلون فى حيرة.. أين أمى؟ قال أكبرهم الذى تجاوز العاشرة بقليل هل ذهبت عند أبى يا جدتى؟ التصق أصغرهم بها.. ضمته إلى صدرها أحاطت الباقين بذراعيها وقالت: نعم ذهبت إلى أبيكم ليعودا سويا

هدأوا بعض الشىء.. عادوا إلى اللعب... ماذا عساها أن تفعل؟.. غادرت الحجرة بسرعة قبل أن يرى الأطفال دموعها.. دارت حول نفسها... ترى أين ابنتها الأن؟ قلقها ليس خوفا من غيابها ولكن خوفها مما يمكن أن يحدث لها.. هى تعرف ابنتها ولكنها لا تعرف ماذا تفعل خارج البيت... ربما تفعل ما يفعله المجاهدون، منذ دخل جيش المحتل قطاع غزة، لم يهدءوا أصبحوا كابوسا قاتما يجثم على صدورنا.. نظرت إلى السماء عبر زجاج النافذة تتضرع إلى الله أن يعجل بخلاصهم.. لاحظت منذ أيام ما انتاب ابنتها سعاد من قلق بعد علمها باعتقال زوجها عمير هى تعرف أن لابنتها نشاط فى مجموعات المقاومة، وتعرف أنها أخفته عنهم خوفا عليه، لم تتوقع منها أقل مما تفعله الآن.

انتزعها من أفكارها رنين الهاتف أسرعت بالرد لعل وعسى أن يأتيها عبره ما يطمئن قلبها عليهما.. كان على الطرف الآخر صوت امرأة تسأل عن سعاد.. أخبرتها بغيابها.

قالت: معى رسالة من زوجها.. أين أجدها؟

قالت: أنا أمها... كيف أحصل عليها؟

قالت المرأة: نتقابل بعد ساعة بجانب المستشفى العام، سيارتى حمراء.

أغلقت المرأة الخط بسرعة، أسرعت هى بوضع الأطفال فى السيارة

تساءل الأولاد: إلى أين يا جدتى؟؟

استجمعت شجاعتها وهدوءها وقالت: إلى الحديقة سأذهب بكم إلى هناك.

أخذت طريقها إلى المستشفى العام، هناك أوقفت السيارة بجانب سور المستشفى... راحت تتلفت حولها فى حيرة.. لاحظت سيارة تقف غير بعيد عنها، زاد قلقها حين شعرت بعيون من يستقلونها قد تركزت على سيارتها.. أسلمت أمرها إلى الله فلتنتظر وترى ماذا يحدث؟.. دقائق جاءت بعدها السيارة الحمراء، لتقف بالقرب من سيارتها، كان يقودها رجل، وبالخلف تجلس امرأة، دقائق مرت عليها ساعات، بعدها، غادر السائق السيارة وأقبل نحوها ليقذف إليها بمظروف وهو يقول: أسرعى بالمغادرة... أسرعى.. دست الرسالة فى حقيبتها، وتحركت بالسيارة منفذة أمره دون تفكير.. فى حين غادر الرجل المكان بسيارته واختفى... بعد مدة تطلعت إلى الخلف، رأت السيارة الأخرى تتبعها، زادت سرعتها.. لاحقوها... انزعج الصغار وبدءوا فى البكاء... ازدادت عصبيتها... بعد أن زادت سرعة مطارديها... صاح أكبر أحفادها يحذرها من السرعة... صرخت... اصمت يا بنى... اجلس بجانب إخوتك، حاولت ضبط

أعصابها... ازداد انزعاج الصغار... حاولت مراوغة السيارة الأخرى، في محاولة للفرار.. وفـي النهاية اضطرت إلى الوقوف.. هناك نقطة تفتيـش اعترضتها لحظـات خاطفة، وكان حولهـا أربعة من ركاب السـيارة التي تطاردها... مشـهرين أسـلحتهم... صرخ الصغار... ملتفين حولها... ضمتهم إليها وهي تقول: لا تخافوا لا تخافوا.

اقترب منها أحد الرجال صائحا: أين هي؟

قالت في غضب: من هي؟

قال في تهكم: الرسالة أين هي؟ كفي عن المراوغة.. أين هي؟

تظاهرت بعدم الفهم وقالت: أي رسالة؟.. ليس معي رسائل..

مد يده ينتزعها من السـيارة ليلقي بهـا على الأرض..بينما علا صراخ الصغار أكثر.. لملمت أشـلاء نفسـها الجريحة وقامت مسرعة تهدهد الصغار... اختطف الحقيبة يعبث بها، ثم ألقاها في وجهها بعد أن حصل على الرسـالة، وضعها في جيبـه بعد أن قرأها قائلا: هاهي.. اصعدي إلى السيارة هيا اصعدي للخلف مع الصغار... هيا.

قاد هو السـيارة بينما جلسـت هي في الخلـف تحتضن الصغار المرتعشين تهدىء من روعهم، وفي أحد المباني خارج القطاع، اقتادوهم بقسوة زادت من خوف الصغار وبكاءهم، بينما كانت دموعها المنهمرة تملأ وجهها، وامتلأ صدرها قهرا وحنقا، تسـائلت وقد اسـتبد بها القلق.. ترى ماذا كتب زوج ابنتها في الرسـالة؟ هل سيعرفون مكان ابنتها؟ هل سيقبضون عليها؟ هل وهل وهل؟ تزاحمت الهواجس في رأسـها حتى أوشـك على الانفجار.. أغمضت عينيها مسـندة رأسها علـى جدار الحجرة التي أغلقوها عليهـم منذ دقائق... التف الصغار

حولها فى خوف تشبثوا بملابسها.. راحت تربت عليهم... لتهدىء من روعهم، ترى ماذا كتب عمير فى رسالته؟ هم يعرفونه تمام المعرفة لقد اعتقل من قبل فى بداية الانتفاضة، تزاحمت برأسها الهواجس... ازداد قلقها كلما مر الوقت.. طلب الصغير أن يقضى حاجته.. زادت حيرتها.. قامت تدق الباب مرات دون مجيب، بكى الصغير خجلا وهو يشعر بالبلل يغمر ثيابه.. ضمته إليها.. افترشت الأرض العارية، رغم قذارة أرضها.. نام الصغير على رجلها تبعة بقية إخوته... ظل أحمد وهو أكبرهم يقظ ينظر إليها وعلامات الاستفهام تملاء وجهه الصغير... نظرت فى عينيه وجدت الخوف يملؤهما.. ربتت على رأسه قائلة: لا تقلق الله معنا.

ابتسم الصغير وقد شعر بالاطمئنان بعد أن رأى ابتسامة جدته، جلس بجانبها يلملم أطراف جلبابه قرفا من القذارة التى تحيط بهم... ساعات طويلة مرت عليها تتوجس منهم الغدر فى كل لحظة.. انتبهوا جميعا فزعين على صوت ارتطام الباب بالحائط... انكمش الصغار فى أحضانها..عندما رأوا نظرات القادمين... جلس أحدهم قبالتهم يتفرس فيهم... أشار إلى أكبر الأطفال... التصق أكثر بجدته انهار عليها بسيل من الأسئلة.. بين السباب والوعيد.. أين سعاد؟ أين عمير؟ أين تعمل؟ متى تخرج من البيت؟ إلى أى من المنظمات انضمت.. استمروا هكذا إلى ساعة متأخرة من الليل، متظافرون مع الخوف والجوع والعطش فى إنهاك الصغار دون رحمة كانت إجاباتها... لا أعرف... لا أعرف.. حتى انهارت صارخة: كفى.. كفى... حرام عليكم.. حرام... خرج الرجل مسرعا وهى تشيعه بسبابها.

جثم الليـل عليهم ومعه هم عظيم ضاق به صدرها فصرخت: أيها الجبنـاء المغتصبـون.. حسـبى الله ونعم الوكيل... حسـبى الله ونعم الوكيل.

نام الصغار على الأرض العارية... وضعت رؤسـهم على أجسـام بعضهم... أخذت الصغـير فى أحضانها تدفئه.. دفقت دموعها وهى تنظـر إليهم فى حسـرة.. فتح الباب مرة أخـرى.. أمرها أحدهم أن تتبعه.. حملت الصغـير وأيقظت الباقين.. أمسـكوا بثيابها.. حتى اسـتقلوا سـيارتها وأمرها أحدهم بالذهاب إلى منزلها... حمدت الله على انفلاتهم من قبضتهم.. أسـرعت إلى بيتها.. وهناك وجدتهم قد اقتحموه و عاثو فيه فسـادا.. بل سـرقو منه ما راق لهم... استسـلم الصغـار إلى النوم بمجـرد أن وضعتهم فى فراشـهم.. أطفأت الأنوار وجلسـت فى حجرتها تترقب وصول ابنتهـا... ظلت روحها معلقة طوال الأيام التالية لهذا اليوم المشئوم تنتظر ما تجود به الأيام عليها، وفـى اليوم التالى أُعْلِنَ وقف إطلاق النـار بين جيش المحتل وفصائل المجاهدين فى القطاع!!! تنفست الصعداء وهى تقول: الحمد لله.

□□□

(٥)

حيرة زوج

اختفت... لا نعرف أيــن ذهبت... وكأنها تبخرت فى الهواء... أصبحنــا جميعا فى حيرة.. نظر هو إلى صغاره.. بادلوه النظرات دون أن يعلمــوا ماذا حدث... هو يعلم... إنهــم يريدون منه الطعام، كما تعودوا منها أن تفعل... الطعام ولكن كيف؟ هل يستطيع بمفرده إطعام الخمسة فى وقت واحد؟... صرخ ينادى عليها.. يجب أن تساعده فى إطعام الصغار... تزاحموا عليه.. كل منهم يفتح فمه يطلب الطعام... صــرخ فيهم.. انتقل بعيــدا عنهم... صمت الصغــار... هم لا يدرون مــاذا أصابه.. أين الأم... لا يعرفون إنها اختفت.. ولا يعلمون معنى ذلك... ولكنهم جائعون... إنه فى ورطة كبيرة... ظل ينتقل من جهة إلى أخرى، يبحــث عنها... يناديها دون جــدوى... هو منذ الأمس لم يراهــا... بعد أن خرجت من الحجرة... ودون مقدمات اختفت... انتظرعودتها ولكنها لم تعــد... صرخ الصغير يطلب الطعام... ألقمه قليــلا منه... صرخ الأخــر يطلب نصيبه... ألقمــه هو الأخر نصيبه ليســكت... تزاحم الجميع حوله كل يفتــح فمه يطلب الطعام... راح يلقم كل واحدا مرة حتى لهث من التعب، خرج من الحجرة مســرعا صمت الصغار.

وقف ينظر حوله و يحاول تفســير اختفاؤها و ســببه... وتوقيته الغريــب.. هو لم يغفل عنها لحظة ســوى تلك الثوانــى التى تركته

يطعم الصغار حين دخل ليساعدها... وخرجت هي... ظن أنها تُرَوِّحُ عن نفسها من شدة التعب فى رعاية الصغار... كانت أمامه دوما، لا يستطيع تحمل بعدها... لقد منحها كل الحب وكل الحنان الذى لا يستطيع بشر منحه.. كانا لبعضهما كل الأهل.. لم يتركها لحظة منذ ارتباطهما.. أو بالأصح منذ مولدهما.. صغارا، مرحا ولعبا كثيرا، لم يفارق أحدهما الأخر.. كانا يقضيان طوال أيامهما يتناجيان.. يطعمها وتطعمه.. تمسح على رأسه فى حنان.. يبادلها هو بالمسح على رأسها أكثر وأكثر، كانت السعادة ترفرف عليهما... وحين حملت كان لا يجعلها.. تترك مكانها يلقمها الطعام فى فمها... منحها كل ما يملك كان لها المعين والسند والصديق والرفيق

سأل نفسه كثيرا: ترى لماذا فعلت به ذلك؟.. لماذا تركته ورحلت؟.. وكيف تترك صغارها الخمسة دون مقدمات وتختفى.؟ زادت حيرته... فهو لم يشعر يوما من الأيام حتى ولو ببوادر تحولها عنه، حتى يستطيع القول إن هناك أخر فى حياتها.. لا.. لا هو متأكد أن هذا مستحيل... فهى لا ترى سواه ولا تسمع إلا نجواه... وهذا ما يزيد فى حيرته لماذا هربت؟ لم يحرمها من شىء كل ما تحتاجه لديها.. هو بجانبها دائما، كانا إلى أخر لحظة فى سعادة، يعيشان فى سلام، لم يغادرا بيتهما قط.. كان يشعر أنها راضية عن هذا الوضع... لم تتزمر يوما ولم تطالبه بغير ذلك... دار حول نفسه... حيرته تزداد... إذن لماذا هجرته لماذا؟ اعتصرت الحسرة قلبه، والصغار ينظرون إليه فى حيرة من أمرهم، لا يدرون شيئا عما يحدث حولهم. هم يريدون الطعام فقط.. منه أو منها أو حتى من غيرهما لا يهم، المهم أن يطعموا حتى لا يموتوا جوعا.

جثم الليل عليهم، تذكر كيف كانت تأخذ صغارها فى أحضانها وتنام لتدفئهم بجسدها... ويظل هو واقفا أمام باب الحجرة يحرسهم... وفى الصباح يساعدها فى إطعامهم... وكلما جاء موعد إطعامهم كان هو دائما جاهزا للمساعدة... هذا كل دوره فى حياتهم، لهذا لم يستطع اليوم أن يفعل ما كانت تفعله هى، انكمش الصغار على أنفسهم يلتمسون الدفء من أجسام بعضهم البعض.. يا لقسوة قلبها أهان عليها تركهم فى هذه السن الصغيرة

وهم فى حاجة إلى الرعاية والحنان... وقف فى مكانه المعتاد أمام الحجرة مذهولا يحرسهم.. وكأنها موجودة بالداخل هى والصغار غفا فى مكانه حتى انبلج الصباح.. انتبه على صراخ الصغار يطلبون الطعام.. أسرع يحضر لهم ما يسكت جوعهم.. نظر إليهم نظرة ملؤها الشفقة والحنان تغلفها الحيرة.. راح يطعم أحدهم والأخرين يتسابقون إليه ليحصلوا على نصيبهم، حصل أكبرهم على ما يشبعه من أبيه، ثم راح يطعم أقرب إخوته إليه، وكأنما أحس بما يعانيه أبوه من محنة، فحاول مساعدته، عبء ثقيل تركته له.

كانت جالسة فى ردهة البيت حين سمعته يناديها فى صوت ملؤه الشجن والحزن... ثم ازداد نداؤه حدة وعصبيه... شعرت بالقلق عليهم... أسرعت إلى الشرفة لأعرف ماذا جرى، أعلم أنها اختفت منذ الأمس أنا الأخرى فى حيرة من اختفاءها المفاجىء،... وكيف حدث هذا؟... لا أدرى... سمع زوجى هو الأخر هذا الصوت الحاد والغريب الذى لم يتعوده منه... فسأل عن السبب... أخبرته بما حدث.. قال: غدا أحضر له أخرى ربما عبث أحد الصغار بباب القفص... فطارت.

(٦)
خطوات على الأسفلت

شعرت بثقل قدمى، ودوار يسبح بى، إحساس يأخذنى إلى سواد، يرتفع بى فى دورات متتالية إلى أعلى، ثقل جسدى، لحظات رحت بعدها فى غيبوبة، هويت إلى الأرض، سمعت أصوات من التفوا حولى، تصلنى من بعيد، منهم من ساقه فضوله ليعرف ماذا يحدث؟، ومنهم من أشفق على طفل صغير هوى إلى الأرض، شعرت باختناق، تنفست بعمق، طلبا لبعض الهواء، ولكن لا فائدة، شعرت بكل شىء حولى يضغط علىَّ، حتى لمسات الناس لجسدى، لم أعد أشعر بها أحقا لمسونى؟ أم أتخيل، لا أدرى، لم أعد أشعر بشئ.

حاولت أن أتذكر من أين أتيت، وإلى أين أنا ذاهب، لم أتذكر، غاب عن عقلى كل ما حدث لى، كنت أرى الناس حولى أشباحا تتحرك ثم تصطدم بى، صور باهتة مرت بخاطرى. دفقات من الماء غمرت وجهى، مازالوا يحاولون إفاقتى، بدأت أفيق وألملم أفكارى، آه.. تذكرت الأن ما حدث لى منذ يومين، تذكرت أننى هربت.. آه... نعم هربت من ضربات زوجها لى، لطمات تهوى على وجهى، بقسوة جعلتنى أفر من أمامه،... سامحك الله يا أبى، لو كنت أنت الذى يضربنى ما كان ضربك لى يكون هكذا، كانت مجرد مشاجرة بسيطة مع ابنته أختى الصغيرة، هى أختى وأحبها، كانت مجرد مشاجرة

أطفال، ولكن بكاءها جعل أبوها ينتصر لها، وهوى على ضربا، هربت لحظتها، لا أعرف إلى أين سأذهب، المهم، أن أفر من أمامه، تفاديا للضربات العنيفه التى تهوى على، آه سامحك الله يا أبى تركتنى بلا سند، أبى... وأين هو؟ لا أنسى أبدا ماذا فعل معى، يوم هربت أول مرة وهرعت إليه طلبا للأمان، هربت يومها من الضرب، كان الرجل يتحين الفرص لينهال على ضربا بسبب وبدون سبب، كان يوم وقفة العيد الماضى، لم أفعل شيئا يومها أستحق عليه الضرب، فقط طلبت من أمى، ملابس جديدة مثل رفاقى، غضب زوج أمى يومها غضبا شديدا، وراح يضربنى، هربت ولم أفكر فى أحد سوى أبى، ذهبت إليه، طرقت بابه، مرة ومرات دون جدوى، ناديت عليه كثيرا ولكنه لم يفتح الباب، وعندما تعبت، انكمشت فى ركن من السطح فى انتظاره، هبت يومها لفحة هواء بارد، جعلتنى أنكمش على نفسى ألملم ملابسى، على جسدى، أطلب الدفء، لم أعرف مكانا آخر أذهب إليه، انتظرت طويلا، كنت أسمع ضحكات أبى، ورفاقه بالداخل، مرت الساعات، وأنا متكور على نفسى فى الركن المظلم من السطح، حتى غفيت مكانى، قضيت ليلتى تائها فى صحراوات القلق ومتاهات الأرق، أتساءل عما سيحدث لى وماذا سيكون مصيرى.

حين استيقظت كان الفجر قد بزغ، وبدأت خيوطه تنسج على الليل تباشيره الناعمة، آنس وحشتى انبلاج النهار، وفجأة سمعت صرير باب حجرة أبى يفتح فى هدوء، تسللت منه أشباح، واحدا تلو الأخر، دون كلمة، كانوا يخرجون فى بطء وكأنهم يطيرون فى الهواء، نفس الأشباح التى كانت تتسلل من حجرتنا، عندما كان أبى

يعيش معنا، كانت تلك الجلسات تتكرر يوميا، يجلس مع رفاقه متحلقين حول ركوة الجمر، يغلفهم دخان أزرق، يتهامسون فى أول الليل، وفى آخره يقهقهون بشدة، يلقون بالنكات، ويضحكون عليها قبل أن يُكْمِلُهَا راويها، وهم يتبادلون غابة الجوزة، بينهم، وبعد انصرافهم آخر الليل، كان أبى ينام باقى النهار، لا يفيق إلا على خطوات أمى، عائدة من عملها، لتضع أمامنا الخبز والجبن، وإذا رزقها الله بوسع، يكون العشاء طعمية ساخنة، هكذا كانت حياتنا مع أبى، لا أعرف ماذا كان يعمل أبى، لم أراه إلا نائما أو جالسا مع أصدقائه فى الليل، كنت أنام مع أمى فى تلك الأثناء فى الغرفة الداخليه من البيت. وها أنا أرى أبى فى نفس الموقف الذى كان يتكرر فى بيتنا فى الماضى مازال كما هو لم يتغير!!

بعد انصراف رفاق أبى، فى ذلك اليوم، ساد الهدوء حولى، نهضت من مكانى بصعوبة بعد أن تيبست عظامى من البرد، اتجهت إلى باب الحجرة، نظرت إلى الداخل، كان الضوء خافتا، لم أتمكن من رؤية شىء، ناديت على أبى، الذى ظهر على عتبة الحجرة، بشعر أشعث، وعينان حمراوان، وقف بجسده الضخم يسد الباب، يحول دونى والدخول

صائحا: ماذا تريد؟ ماذا جاء بك الآن؟

عجزت يومها عن النطق، وأنا أرى نظرته القاسية، أخرستنى المفاجأة، لم يرانى منذ شهور، ولم يسأل عنى، كنت أتمنى أن يأخذنى بين يديه فى حنان ويشعرنى بالأمان ولكنه سألنى يومها... ماذا جاء بى، أجبته فى خوف: أصل أصل...

كانت تلك الكلمة هى كل ما استطعت النطق به.

غمـرت وجهى مرة أخرى دفقة ماء، انقطع عندها حبل أفكارى، مازالوا يحاولون إفاقتى، هم لا يعرفون سبب إغمائى، إنه الجوع، أنا جائع نعم جائع لى يومان لم أذق فيهما سوى الماء، أريد طعاما، فتحت عينى ونظرت إليهم فى خوف..

: الحمد لله، اطمئنوا لقد استفاق.

هكـذا صـاح أحدهم وهم ينصرفون من حـولى، بعد أن نفحنى كل منهم كلمة أو كلمتين لا أكثر، تحسسـت وجهى، كنت مازلت أشعر بـالألم الذى أحدثته لطمات زوج أمى عليه، فرت دمعة سـاخنة من عينى، قمت متحاملا على نفسى، لأبدأ خطواتى على أسفلت الطريق مترنحا، لا أدرى إلى أين سـتقودنى قدماى، وماذا سـيكون مصيرى غدا، الله أعلم.

□□□

(٧)
السياسة على طبق فول

هتف محسن بائع الجرائد... أوباما وأبو عباس... مشكلة الشرق الأوسط.. إقرا الأخبار.. حوادث حوادث... صاح الحاج إبراهيم: هات يا محسن.

أسرع الصبى يناول الحاج جريدة الأهرام كالمعتاد... قال صابر بائع الفول وهو يضع الدقة على طبق الحاج إبراهيم: ليمون يا حاج؟.

نظر إليه الحاج فى تعجب قائلا: طبعا يا صابر كل يوم تسألنى نفس السؤال أجاوبك طبعا.

قال مدبولى وهو يضع لقمة فى فمه: الليمون غلى.

قالت أم محمد وهى تقلب أرغفة الخبز وتضع أفضلها فى سلتها القماش: هو الليمون بس؟ كل حاجة غليت.

قال مدبولى: إلا البنى أدم.

قال الحاج إبراهيم: صدقت يا مدبولى.

رد مدبولى: اقرأ يا حاج.. سمعنا.

قال صابر: إيه حكاية الإرهابيين دول يا حاج؟.

تصفح الحاج إبراهيم عناوين الجريدة حتى وصل إلى صفحة الحوادث: آه هجوم غادر للإرهابيين يسفر عن مقتل سبعة مواطنين

صاحت أم محمد: منهم لله هم مش حينهدوا بقه.

قال صابر: أنا مش عارف إيه اللى صاب البلد كده.!!

قالت أم محمد: عين وصابتنا ونبى عين وصابتنا مكناش بنسمع عن كدة أبدا.

قال مدبولى متمنيا: آه لو عينونى وزير للداخلية يوم واحد بس.

ضحكت أم محمد قائلة: ينيلك حتعمل إيه يعنى؟

قال مدبولى: ألهم كلهم واشنقهم فى ميدان عابدين أى والله فى ميدان عابدين وأخلص البلد منهم مفيش حاجة اسمها محاكمة ولا حاجة.

قال صابر: الحمد لله أنهم لم يعينوك وزيرا للداخلية.

انفجر باقى المتحلقين على عربة صابر بائع الفول فى الضحك.

هكذا يدلوا الشعب بدلوه كل صباح، يحل مشاكله اليومية التى يعانى منها، فى بساطة وسلاسة وبدون تعقيد، هنا يتحلقوا حول عربة الفول، يتناولون أبسط إفطار يمكنهم دفع ثمنه طبق فول محوج بالدقة والشطة والليمون وراس بصل أخضر، أو عادى لا يفرق معهم، وعدد من أرغفة الخبز الطازج، المهم أن تمتلىء بطونهم حتى تصمد لآخر اليوم بدون جوع بقروش قليلة ويتبادلون الأراء فى كل ما يعن لهم من أحداث سياسية فى المقام الأول وغير سياسية وأحوال المعيشة من مأكل ومشرب ومسكن، غلاء فى المعيشة، تلك المشاكل التى تؤثر فى حياتهم من قريب أو بعيد كلها... تُحَلْ على طبق فول.

(٨)

فداؤك يا وطن

لأول مرة تنام منذ اجتاح جنود الاحتلال المدينة، لم تمنع أولادها من الخروج، رفضوا فكرة بقاءها وحيدة، اقترح أصغرهم أن يبقى معها، زجرته بشدة: اذهب معهم اذهب اذهب يا بنى معهم، سأكون بخير، كانت تعلم أن تلك اللحظة أتية لا محالة، وسينطلقون للمشاركة فى مقاومة المحتل، حتى ولو بالحجارة، أحكمت إغلاق باب البيت عليها وجلست فى حجرتها تترقب، كانت تتحسس تلك السلسلة الفضية التى تحيط برقبتها، منذ رحيلهم من قريتهم تحمل مفتاح بيتهم هناك، كل امرأة منهم تحمل مثله يحدوها الأمل أن تعود يوما ما إلى هناك وتجد معها مفتاح بيتها، غلبها النعاس... وأيقظتها أصوات طلقات الرصاص تدوى، انبلج الصباح، هتفت: الحمد لله، الله معكم يا أبطال...

فى وقت الظهيرة، اليوم الجمعة، تنبهت على صوت ضوضاء، نظرت من خلال زجاج النافذة... بدأ المصلون يتوافدون... فات موعد الأذان... عاودت النظر إلى الشارع، ضوضاء شديدة... طلقات رصاص تدوى متتابعة... فتحت إحدى ضلف النافذة... المصلون يندفعون من داخل المسجد، و خلفهم جنود العدو، يطلقون النار فى عشوائيه قاتلة، ظلت تحدق فيما يحدث، يطاردون المصلين، اغتصبوا الأرض،

هتكوا العرض، سلبوا الأموال، دنسوا حرمات الديار، لم تستغرب أفعالهم فهى طبيعة المغتصب، طبيعة من ألغى ضميره، طبيعة من أسلم أمره إلى الشيطان، أما اغتصاب حقوق الله، فهو آخر ما تتصوره، خرج فى هذه اللحظة أحد الجنود من المسجد وهو يسوق إمام المسجد أمامه، و الإمام يصرخ: تمنعون الصلاة، تمنعون الصلاة، كان المصلون يقفون بجانب سور المسجد، وقد وجهت إلى صدورهم نصال الأسلحة، استوعبت مرادهم، يخافون تجمع الناس حول أى شىء حتى وإن كانت الصلاة، ظل الإمام يصرخ: حسبى الله ونعم الوكيل... زجره الجندى بنصل سلاحه، تأوه الرجل، ثم هوى إلى الأرض، كان قائدهم يقف بجانب المسجد، هتف فى صلف: أحضره هنا... قام اثنان من الجنود بجر الإمام على الأرض حتى أصبح تحت قدمى القائد الذى قال فى تهكم: لا تخف لا تخف لن نقتلك، لتطاولك علينا، وطول لسانك، سنعلمك فقط أن تستمع لما نقول وتطيع... صرخ الشيخ: أوامرك أطيعها وأوامر الله أخالفها.. أسر قائدهم إلى أحد الجنود ببعض الكلمات، ذهب بعدها الأخير إلى السيارة، وعاد يحمل شيئا ما.. أشار كبيرهم لمجموعة، من الجنود فأمسك أربعة منهم بالشيخ وصلبوه إلى جدار المسجد ثم بدءوا يثبتون قدميه، ويديه إلى الحائط بالمسامير، والرجل ترتفع أهاته عالية، جرت دماؤه الطاهرة تغطى المكان، وهناك من الجانب الأخر، انطلقت صرخات مكتومة من صدور تغلى من الغيظ..وهم عاجزون لا يستطيعون له منعا، ونصال الأسلحة تكاد تخترق جلودهم، بكوا أنفسهم ووطنهم، وقوتهم المسلوبة، والإمام مازال يردد فى وهن: الله أكبر الله أكبر حى على الصلاة،

ضربــه أحدهم فى بطنه بمؤخرة ســلاحه، خفت صوتــه مع آهة ألم مكتومة، ثم غاب عن الوعى حدثت نفســها: لابد أن أعمل شــيئا أى شىء... دارت حول نفسها فى حيرة، ماذا تفعل؟ لم يطل تفكيرها... فتحــت النافذة علــى مصراعيها، لتهتف بأعلــى صوتها: حى على الصلاة حى على الصلاة، حى على الفلاح، حى على الفلاح... حى على الجهاد... التفت الجميع ناحيــة الصوت، تتابعت الهتافات معها، تعلو و تعلو حتى أصبحت هديرا يصم الأذان... حى على الفلاح، حى علــى الفلاح... حى على الجهــاد... لم يأبهوا لطلقات الرصاص التى انهالت حولهم وهم يهاجمون الجنود لم تخيفهم الأســلحة المســلطة إلى صدورهم، تحصدهم بقسوة، سالت دماؤهم تُشهد الأرض على ظلم الإنســان لأخيه الإنسان، وعلى جدار بيتها ســالت دماؤها الطاهرة تصرخ فداؤك يا وطنى فداؤك وطنى.

□□□

(٩)
قدر ولطف

سـار الأتوبيس فى طريقه إلى ضاحية المعادى عن طريق كورنيش النيـل، حتى وصل إلى منتصـف الطريق، حين مال رجل مسـن من الـركاب على السـائق يهمس فى أذنه بعض كلمـات لم يتبينها أحد ممن يقفون حولهما... توقف السائق على إثرها على جانب الطريق... تسائل الجميع: ماذا حدث؟!!

لمـاذا توقف الأتوبيس؟... لم تكن إحدى المحطات المنتشـرة على طول الطريق والتى يمكن أن يقف عليها لتحميل ركاب جدد!!.. ولم يكن هناك ما يعترض طريقه حتى يقف فى مثل هذا المكان الخالى من المساكن!!... كان الزحام شديدا داخل الأتوبيس والحر أشد... هكذا كان الحـال وقت الظهيرة فى القاهرة منتصف أغسـطس... والجميع فى عجلة من أمرهم... وفى منتصف السيارة كانت... هناك شابة فى مقتبل العمر وبجانبها شاب... يقفان فى تقارب أزعج الرجل الجالس بالقرب منهما، وهما يتبادلان النظرات الولهى، كانا لا يشـعران بما يحدث حولهما، يقف الأتوبيس أو يسـير لا يهم، المهم أنهما معا، كأن لسـان حالهما يقول ليت الطريق لا ينتهى، أخذ الرجل يتفحص فيهما، لاحظ دبلتـين فى إصبعيهما، آه مرتبطان، مازالا فى مرحلة اللاوعى، سكرةٌ يفيقان بعدها ويعرفان إلى أى مدى أخطأ، هكذا حدث

نفسه وهو يدير رأسه إلى ناحية النافذة، متشاغلا عنهما بالنظر إلى خارج العربة وهو يبتسم فى شماتة، الكل يحلم بالعودة إلى البيت بعد عناء يوم عمل فى هذا الجو الخانق، أما هو فكان يتمنى أن يظل الطريق مزدحما إلى أخر الليل حتى لا يصل إلى بيته ويجد قائمة الطلبات التى تعدها زوجته له كل يوم، لا يهمها أول الشهر أو أخره المهم لديها أن تحصل على طلبات البيت والأولاد... أفسح العجوز لنفسه طريقا حتى هبط من الأتوبيس وهو يلهث بالدعاء للسائق بالستر، خطوات قليلة ثم اختفى بعدها خلف شجيرات نبات الغاب المنتشرة على شاطئ النيل، مرت لحظات و الأتوبيس مازال يقف لم يتحرك ليستأنف سيره كما توقع الجميع، أخذوا فى الصياح متسائلين، تطوع البعض بالإجابة لتفسير ماحدث: ربما عطل فى السيارة.

الصبر الصبر هى الدنيا طارت إن الله مع الصابرين.

هكذا صاح السائق بعد أن ازدادت همهمت الركاب وتذمرهم... فى تلك اللحظات التى وقف فيها الأتوبيس اندس هو وسط زحام الركاب.. عيناه تدور هنا وهناك فى حنكة يبحث عن صيد ثمين يختم به جولته الصباحية، الغلة اليوم قليلة، أخر الشهر، والناس جيوبهم خالية ولكن المعلم لن يرحمه، لن يقنع بهذه الأسباب وهو لابد أن يتصرف... لمحها تقف فى منتصف السيارة، تقبض بيدها على مسند الكرسى لتحفظ توازنها، بريق السوار الذى يلف معصمها، خطف بصره اندفع بين الزحام والأجساد المتلاصقة فى صعوبة حتى وصل إلى حيث تقف، التصق بها بهدوء، نظرت إليه، ابتعد قليلا

حتى لا تشك فى نواياه ثم عاد ليلتصق مرة أخرى ليوهمها بأن غرضه التحرش وليس شئ أخر، تململت المرأة مبتعدة، مرت لحظات ظهر بعدها العجوز، يهرول ناحيـة الأتوبيس وهو يلملم أطراف جلبابه ليربط سـرواله، علم الجميع فى تلك اللحظة سبب وقوف الأتوبيس، علق أحدهم قائلا: هى حَبَكَتْ... قهقه بعض الواقفين حوله ضاحكين

صاح آخر: ربما يكون الرجل مريض ربنا يكفيك شر المرض.

تبادل الجميع الحكايات التى تناسب الحدث، بعد أن استراحت أعصابهم، آملين أن يستأنف الأتوبيس سيره، صعد العجوز إلى العربة بمسـاعدة بعض الركاب، انتظر الجميع اسـتئناف العربة لسيرها، مـرت لحظات ولم تتحرك السـيارة، كان هو مـازال يداعب ناظريه بريق السـوار، يغريه على إنجاز مهمته فى أسرع وقت، وحين طال الوقوف، صاح الركاب ماذا حدث ثانيا؟ أين السـائق؟ علق أحدهم فى سخرية: يمكن نزل هو الأخر يفك حصره... تضاحك الكل من حوله.

اشـرأبت الأعناق، تنظر ناحية المقدمة حيث مكان القيادة، هناك بعض الاضطراب بين الجمع الواقف هناك... ماذا يحدث؟!.. كان هو يقـف متحينا تلك الفرصة الفريدة، إنها متاحة له الآن، لابد أن يتم مهمته بسـرعة، مال بجسده وكأنه يسـتطلع ما يجرى هناك، وفى سرعة و براعة لص محترف، أصبح السوار بين أصابعه فى لحظات، تحرك بعدها صوب باب السيارة وهو يصيح: يظهر أننا لن نصل أبدا فى هذا اليوم الأغبر، وسع يا عم خليني انزل.

هبط من السـيارة بسـرعة، ليهرب قبل أن تكتشـف المرأة ضياع سوارها.

مـاء.. مـاء نريد بعض المـاء،... هكذا صـاح أحـد الواقفين فى المقدمـة... الرجل غائب عـن الوعى... كلونيا كلونيـا يا جماعة أى حاجـة... تلفت الجميـع حولهم.. أخرجت المـرأة زجاجة عطر من حقيبة يدها، تلقفتها الأيدى بسرعة،حتى وصلت إلى المقدمة، قربها أحدهم من أنف السائق... انتظروا أن يفيق... لا فائدة، ، أمَالَ الرجل زجاجة العطر مرة أخرى، حتى سـالت على وجه السـائق، لا فائدة انتظـروا عليه قليلا، ضربه أحدهم على وجهـه أملا أن يفيق، صاح أحدهم: الحر خانق الله يكون فى عونه.

اقترح كل منهم وسـيلة لإفاقته... زفر الدكتور فى ضيق.. أف.. هـا هى عطلـة أخرى.. ماذا أفعل؟ لن أجد تاكسـى فـى هذا الطريق الخالى، أعوذ بالله ما هذا النحس الذى يلازمنى، سـأتأخرعن موعدى مع صاحب العيادة، تململ فى جلسـته، كان خائفا أن يسبقه مدحت زميله فى المستشـفى إلى هناك، لقد قرأ الإعلان سـويا صباح اليوم عن عيـادة يطلب صاحبها تأجيرها أو بيعها لدواعى السـفر تظاهر بعدم الاكـتراث حتى لا يلفت نظر زميله إلى رغبته فى تأجيرها.. سـوف ينزل ويتصرف حتى لو أوقف أية سـيارة وركبها... المهم أن يصل.. فرغ صبره.. نهض من مكانه متأففا.. أسـرعت المرأة الواقفة بجانبه ترتمـى على المقعد الخالى فى فرح قبل أن يسـبقها إليه أحد، أخيرا تحقق أملها فى الحصول على كرسى تجلس عليه، بعد أن فقدت الأمل فى أن يتنازل أحدهم لها عن كرسـيه بشهامة عندما يلاحظ تألمها من الوقوف، شـق الدكتور لنفسه طريقا وسـط الركاب بصعوبة، وحين وصل إلى مكان التجمع فى المقدمة،.. شـعر بقلق الناس.. ماذا حدث؟

تسائل وهو يزج بنفسه وسط الملتفين حول السائق.. الملقى على وجهه علـى عجلة القيـادة بدون حراك... طلب مـن الجميع التراجع حتى يستطيع الكشف عليه.

: سأله أحدهم... أنت دكتور؟

: نعم أنا دكتور.

: اكشف عليه يا دكتور وطمنا.

تراجع الجميع.. أمسك هو بيد السائق يستطلع نبضه... ترك يده ورفع رأسـه إلى الخلف ليستقيم جسمه... وضع أذنه على صدره قليلا ثم اعتدل... بدأ كل من حولهما يفسـر ما حدث: تجده لم يأكل شيئا طول اليوم.

: ربما يكون ضغط الدم لم يسلم منه أحد هذه الأيام.

: يمكن غيبوبة سكر؟.

صرخ فيه: اصمتوا حتى أستطيع الكشف عليه.

كتم الجميع الأنفاس... انتظـروا نتيجة الفحص... رفع الطبيب رأسـه ثم وقف معتدلا وقد تراخت يداه إلى جانبه... ناظرا إليهم... بادلـه الجميع النظـرات فى خـوف، وتوجس... مـاذا حدث؟... ماذا وجـدت؟... قال الطبيب وهو يغادر السـيارة: احمدوا ربنا إن الأتوبيس كان واقف.

نظر الجميع إليه فى دهشة والسؤال يتردد فى عقولهم.. لماذا؟... جاءتهم الإجابة: السائق مات!!!!! تمتم العجوز: لا حول ولا قوة إلا بالله... سبحان الله.

(١٠)

قطعة السجاد القديمة

أيقظتنى فى منتصف الليل، قشعريرة باردة تجتاح جسدى جعلتنى أنكمش على نفسى... التصقت ركبتاى بصدرى... أحكمت الغطاء حولى... بدأ الطقس يزداد برودة... سمعت صوت رخات المطر تضرب زجاج النافذة... ظل المطر ينهمر بشدة مدة طويلة... نفضت الغطاء عنى هاتفة وأنا أنهض مسرعة أغادر الفراش الدافىء... الأولاد... لابد أن يكونوا بردانين، اختطفت الروب الملقى على الأريكة ووضعته على كتفى... خرجت إلى الصالة... ياه البرد شديد هنا... أسرعت إلى حجرة الأولاد... عدلت من وضع رأس أصغرهم... اعتاد إزاحة الغطاء عن جسده... يضطرنى المرور عليهم أكثر من مرة فى الليلة لأحكم الغطاء عليه... الليلة شديدة البرودة... ابتسمت وأنا أتذكر مقولة جدتى رحمها الله (شهر طوبة يجعل الصبية كركوبة) وزيادة فى الحيطة أدخلت أطراف الغطاء تحت حاشية أسرتهما... هكذا أفضل حتى لا يكون فى إمكان أصغرهما إزاحة الغطاء... يمكننى الآن أن أنام باقى الليل مرتاحة... أغلقت باب الحجرة لأمنع تسرب البرد إليها.

فى الصباح حرصت أن يتناول الصغيران إفطارهما قبل الذهاب إلى المدرسة، (الإفطار يساعد على الدفء واستيعاب الدروس)،

هكذا كانت أمى تقول... خرجنا من الشـقة... لم أجد قطعة السجاد القديمة التى وضعتها بالأمس أمام الباب!! للمرة الثانية تختفى تلك القطعة... كنت حريصة على وضعها فى مدخل الشقة لينظف الجميع أحذيتهم عليها قبل الدخول إلى الشقة فى الأيام المطرة... منذ يومين ضاعـت القطعـة الأولى واليوم هاهى القطعة الثانيـة اختفت أيضا... تفحصـت المكان حـولى... ليس لها أثر... وعلى باب العمارة سـألت حارس البناية عن قطعتى السـجاد المفقودتين... أكد عدم رؤيتهما... ربمـا يكون أحد الصغار أخذها ليلعب بها.. هكذا برر اختفاءهما... قلت بدون اقتناع: ربما، وعنـد عودتى أنا والصغيران بعد الظهر... خلال صعودنا إلى الشقة... تسابق الصغيران كعادتهما على السلالم... يدخلان من السلم الرئيسى إلى السلم الخلفى للبناية... كانا يتصايحان فى فـرح، تجلجـل ضحكاتهما مـع لهاثهما... يدخـلان من طابق ليخرجا من الطابق الذى يليه... وصلت إلى باب الشـقة هممت بوضع المفتـاح فى قفل الباب... وصل أحـد الصغيرين ووقف بجانبى... أما الأخـر لم يصل بعد... ناديـت عليه... جاء صوته مرتعشـا... ماما مامـا تعالى... ارتجف قلبى خوفا عليه... ماذا ألم بك؟، هكذا هتفت وأنا أسـرع إلى مكان على السـلم الخلفى... وهنـاك وجدته... يقف وهو يشـير إلى شـىء ما على درج السـلم... كانت هناك... اقتربت مما يشـير إليه... وجدتهما... قطعتى السجاد المفقودتان... وعليهما ترقـد إحدى القطط... وفى أحضانها خمـس قطيطات صغيرة حديثة الـولادة... كانت القطـة الأم تنظـر إلى الصغير بتنمـر وتوجس... قال الصغير: ها هى قطع السـجاد المفقودة يا أمـى... هاهى... إنها

تحت القطط انظرى... هم أن يقترب من القطة ليسحب السجاد من تحتها... زمجرت القطة بقوة وهى تتحفز للقفز عليه... سحبت الصغير بسرعة من أمامها قبل أن تصل إليه يدها ذات الأظافر المشرعة فى حدة... احتضنته بشده وأنا أسير به ناحية شقتى هاتفة: لا... لا يا حبيبى سأتركها لهم... الدنيا برد.

□□□

(١١)

قلب الأم

اتخذت مكانها فى السيارة، شاردة، ساهمة، يطل من عينيها، الذابلتين من كثرة البكاء خوف دفين، تحمل بين جنبيها قلب هدته الأحداث، وعلى وجهها المتعب تعاريج حفرتها الأيام.. أول مرة تخرج اليوم من قريتها النائية فى أقاصى الصعيد... لم ترى طوال أعوام عمرها الخمسين، سوى بيوت قريتها، المتلاصقة فى حميمية، تبث الأطمئنان فى نفسها، تلك الدور الرمادية بلون طينة الأرض... خروجها اليوم يعد فى رأى أهل قريتها مغامرة كبيرة لا تعرف نتائجها، ولكن بالنسبه لها كان قدرها، الذى كتب عليها أن تمشيه،... آه... تنهدت بحرقة، تذكرت كيف عارضته بشدة يوم أخبرها برغبته فى الرحيل إلى المدينة سعيا وراء الرزق، بعد أن ضاق به الحال وأصبح عمله فى القرية لا يدر عليه ما يسد رمقهما، ولا يساعده على تحقيق أملها فى زواجه وتحمل مصاريف الزواج الباهظة، ماذا تفعل فى قلبها الحنون، فهو وحيدها ليس لها سواه، هو كل متاع الدنيا الذى خرجت به من زواجها، كانت تشعر بقلب الأم ما كان يبدو فى عينيه من حديث، لم ينطق به لسانه، كان خجله يظهر على وجهه، كلما ذكرته بضرورة زواجه... كان يقول دائما: من أين يا أمى العين بصيرة واليد قصيرة... ثم تغمر وجهه

بعدها مسحة يأس تعصر فؤادها، بلغ الولد مبلغ الرجال، وطلب الحلال، ولكنه لا يشكى، ومن أجل ذلك، رضخت له فى النهاية، ووافقت على سفره مع باقى شباب القرية إلى المدينة، برغم خوفها عليه، غمرتها يومها فرحة عارمة، لقد صار وحيدها رجلا يسعى ليكفل معيشتها، سيحمل عنها مشقة عملها فى أراضى أغنياء القرية وبيوت القادرين منهم... مرت الأيام ثقالا، ترفع يديها إلى السماء داعية أن يحفظه الله فى غربتة... الحمد لله صبرت ونالت... انحدرت دمعة ساخنة من عينيها، تحفر مجرى على خديها، تذكرت كيف أصبحت أرملة فى عز صباها.. عادت لدار أبيها تحمل وليدها بشهوره الثمانية، تحملت مشقة العيشة الضنك لتربيته بمفردها... رفضت الزواج خوفا عليه، أسندت رأسها المتعب على زجاج نافذة السيارة، متنهده فى حيرة وهى تدعو... يارب يكون فى خير... ماذا تفعل لم تصلها أخباره منذ شهرين... زاد شوقها إليه... أيكون مريضا؟.. أعوذ بالله... لقد فضلت مستقبله على ما ستقاسيه من عذاب فراقه... اعتصر الخوف فؤادها... عام من رحيله لم يعد إلى القرية..بسملت تبعد وسوسة الشيطان عن رأسها... خوفها يزداد أن يكون مريضا؟ أم غوته نعومة الحياة فى المدينه... فنسى أمه؟... تذكرت يوم رحيله فى صباح شتاء قارص، أصرت على الخروج معه رغم معارضته خوفا عليها من البرد... سارت بجانبه حتى آخر حدود القرية، حيث التقى باقى الشباب الراحلين معه، وقفت بعد رحيلهم، فترة ليست بالقصيرة، كانت تتمنى أن يتراجع ويعود إليها، أوصته خيرا بصحته وبالمواظبه على صلاته، ومخافة الله فى تعاملاته مع أهل

المدينة ولم تنسى أن تحذره منهم أيضا، حتى يبارك الله له فى صحته وماله، ويعود إليها سالما لتزوجه وتفرح به... رحل يومها تلاحقه دعواتها... مرت أيام فراقه عليها بطيئة... تحلم بيوم عرسه فاضلت بين كل فتيات القرية لتختار أحلاهن وأعقلهن زوجة له... حلمت بأولاده وفرحتها بهم... حلمت بليلة عرسه وهى تقف فى استقبال الأقارب والجيران متفاخرة بأنها عرفت تربيه وتكبره وتزوجه دون مساعدة من أحد إلا الله... مرت الأيام عليها ثقالا تحصيها يوما بعد يوم، تمر بطيئة مملة، متكاسلة، لا تعرف فيها طعما للحياة، تحاصرها الأفكار السوداء، تبعث فى نفسها الخوف عليه، فتتجه إلى السماء ترجو وتدعو، حتى جاءها أول خطاباته... يومها كانت فرحتها لا توصف.. أخذت الرسالة تقبلها وتحتضنها كأنها تحتضنه هو... أسرعت بها إلى كاتب الشونة ليقرأها ولتطمئن على عبدالله... وتوالت بعد ذلك رسائله مع مبالغ قليلة يرسلها... احتفظت بالجزء الأكبر منها تدخره له، مكتفيه بالقليل يسد رمقها، ادخرته استعدادا لمصاريف زواجه حين يعود بالسلامة، تنبهت على صوت جارتها فى السيارة تسأل: ماذا بك يا أمى؟ ماذا يبكيك؟ صلى على النبى... مسحت دموعها المنهمرة رغما عنها دون أن تدرى بظهر يدها وهى تقول: عليه الصلاة والسلام... لاشىء يا ابنتى لا شىء... كانت تبكى وهى مستغرقه فى أفكارها، دون أن تدرى... استدارت ناحية النافذة تتابع تسابق النخيل والحقول الخضراء خلف بعضها، تخفف عن نفسها الوجلة ملل الطريق، فى محاولة لإبعاد ذكرياتها الحزينه عن رأسها... رغما عنها عادت تسأل.. هل يشتاق إليها كما

تشتاق إليه؟... هل يتذكرها كما تتذكره؟ هو لم يغب عن خاطرها لحظة واحدة منذ رحيله... آه.. خرجت من صدرها مع زفرة حارة... كيف يكون متذكرها، ولم يسأل عنها طوال شهرين كاملين... هذا ما جعلها تخاطر بهذه السفرية إليه... فلم تعد تطيق بعاده عنها أكثر من ذلك... قررت أن تذهب إليه... خرجت ملهوفة تسأل كيف تذهب إلى المدينة؟... جمعت أطراف شجاعتها، متوكلة على الله، يحدوها الأمل فى أن تجده بخير.

هبطت فى الموقف الجامع لسيارات السفر.. وقفت مكانها منبهرة بما حولها من زحام وضوضاء لم تتعوده فى قريتها الصغيرة... كانت حائرة تتلفت حولها..هاهى المدينة... الآن ماذا عليها أن تفعل؟ أهذه هى المدينة؟... هكذا سألت جارتها التى تقف بجانبها، جاءها صوت الشابة تسأل: إلى أين تقصدين يا حاجة...؟ وكطوق نجاة تعلقت به قالت بسرعة: الحسينية يا ابنتى الحسينية... قالت الفتاة: إذن تعالى معى فهى فى طريقى إلى العباسية؟ هتفت: يا فرج الله.. تشبثت بذراعها وسارت مستسلمة لها... انحشرا سويا فى الأتوبيس، بالكاد تستطيع أن تصلب عودها وسط الأجساد المتلاصقة... يجب أن تصبر وتتحمل كل العناء حتى تصل إلى مسكن ابنها.. لا يهم كله يهون فى سبيل أن تطمئن عليه... تأرجحت شمالا ويمينا لا تستطيع صلب عودها اليابس من قلة الزاد.. لم تتعود على هذا الزحام... لم تركب فى حياتها سوى قدميها.. وقليلا ما اعتلت دابة إلى الحقل.

هبطت بعد جهد فى ميدان الجيش.. هكذا قالوا لها.. هنا ستجد الحسينية وقفت تتلفت حولها فى حيرة... ساعدها أولاد الحلال،

حتـــى وصلت بعد جهد ليس بقليل إلى مســكن ابنها.. ورغم تعبها.. صعــدت درجات البيــت المتهالكة كصحتها، حتـــى وصلت إلى الدور الأخــير، كما أخبروهــا... وهناك وجــدت أمامها بابــان... زادت حيرتها، ترى من فيهما باب مسكن ابنها، ترددت قليلا... ثم دقت بيد مرتعشــة علــى أقربهما... مرت لحظات ثــم انفتح الباب.. ومن خلال فرجة البــاب الصغيرة انطلق بصيص ضوء وصوت رجل يقول: مــن.. من الطــارق؟ آه... إنه رجل.. أحكمت طرحتها الســوداء على وجهها، كعادتها حين توشك التحدث إلى رجل غريب... أجابت من خلــف طرحتها: أنا أم عبد الله.. أين هو؟. مرت لحظات انفتح الباب وظهــر لها الرجل يقــول: تفضلى تفضلى.. أهلا وســهلا.. حمد الله على الســلامة... تسمرت فى مكانها، سألت فى خوف: أين عبد الله؟ هل هــذا بيته قالتها فى لهفة وتوجس... ولكن الرجل كرر كلماته: تفضلى اســتريحى أولا تفضلى... ظهرت خلفه فى تلك اللحظة امرأة تقول: أهلا وســهلا يا حاجة تفضلى عندنا نحــن جيران عبد الله... تعــالى تفضلــى... اطمأنــت قليلا حــين رأت المــرأة... دخلت وهى تقول: أين عبد الله؟ جلســت تتلفت حولها تبحث عنه: قال الرجل: لا تخافى يا حاجة هو بعافية شــوية... الله يشفيه.. هو فى المستشفى منذ شــهر... صاحت فى لهفــة: مريض؟ ماذا بــه؟ آه... كان قلبى يشعر بأنه فى ضيق... ماذا حدث له؟ حاولا تهدئتها... قال الرجل: لا تخافى يا أمى تعب بســيط وإن شاء الله يقوم بالسلامة.. صاحت فى لوعة: آه... جئت فى الوقت المناسب كنت أشعر أن به شىء.

رجت الجار أن يذهب بها إليه... لم يتأخر الرجل عن اصطحابها إلى المستشــفى وهى تبكى... ذهب بها إلى هناك... لم تنقطع أسئلتها

عن عبدالله... وفي عنبر المرضى راحت تبحث بعيونها الدامعة عنه.. أسرعت تحتضنه وتقبله وهي تبكي.. وتعاتبه على عدم إخبارها بمرضه، هكذا ترقد وحيدا مريضا... كيف لم تخبرني لأكون بجانبك... ابتسم في مودة وخجل أشار وهو يقول: لست وحدى يا أمي.. سامحيني فلم أستطع إخبارك من قبل.. نظرت إلى حيث أشار.. شابة صغيرة تقف بجانب السرير.. إنها زوجتي... هكذا قال... رددت في ذهول... زوجتك؟.. كيف.؟... متى؟... تزوجت يا عبدالله.. تزوجت دون علمي اختنقت الأسئلة كلها في حلقها لم تتجاوزه... ضغطت على نفسها وقالت بصوت خافت:.. مبروك يا بني... ثم نظرت إليها وقالت: مبروك يا بنتي... ثم التفتت إليه بسرعة تسأله في لهفة: أنت بخير قال: لا تخافي يا أمي أنا بخير لقد كتب لي الطبيب الخروج غدا إن شاء الله، لا تخافي... راحت تردد بفرحة: الحمد لله... الحمد لله... ثم صمتت: تحدث نفسها... تزوجت يا عبدالله دون علمي... تزوجت وأنا أحلم كل يوم بعرسك... أنا التي ادخرت المال لأوفر لك مصاريف الزواج... كأن صوتها محبوسا بداخلها، وهي تتفرس الشابة التي قال عنها زوجته... حاولت الكلام... لم تجد ما تقول... جاء صوت زوجته تقول وهي تمد يدها إليها: أهلا يا حاجة، نورتي... مدت يدها تصافحها وهي ترمق ابنها بنظرة لوم وعتاب... ها أنا ذا الآن علمت لماذا لم تسأل عني في الفترة الماضية... فهم عبدالله معنى نظرات أمه فأسرع يقول: لا تغضبي يا أمي الموضوع تم بسرعة.

ابتسمت فى حنان وهى تربت على يده... يجب عليها الآن أن تبدى فرحتها، يكفيه ما هو فيه... جاهدت نفسها لتخفى خيبة أملها: لا بأس يا بنى ما دمت سعيدا مبروك يا ابنى... قالتها وهى تمسح دمعة انحدرت من عينها تخفف عنها لوعة قلبها، وهى تواصل كلامها: لا شىء يا عبدالله لا شىء... هى دموع الفرح سلامتك حمد الله على سلامتك يا حبيبى المهم أنت بخير... ولسان حالها يقول: صدق من قال قلبى على ولدى انفطر وقلب ولدى على حجر.

□□□

(١٢)
لحظة خوف

اعتدنا الالتفاف حول الأستاذ سعيد وسماع ما يرويه لنا بين مصدق ومكذب... وكلما شعر باهتمامنا ودهشتنا الشديدة من أحداث حكاياته ومغامراتـه مع العفاريت والجن الشـقى منهم والطيب... وكيف كان يحلو لبعضهم معاكسته فيقرأ عليه آيات من القرآن فيحرقه... وكيف كان يراهم ويكلمهم ويصادقهم ويعاديهم ويتبادل معهم الأسـرار بل والخدمات أيضا... وكلما طلبنا مزيدا من السـرد... كانت تبدو عليه أمـارات الثقة فى النفس فيحاول تأكيد قصصه بتحديد بعض الأماكن التـى وقعت فيها تلك الأحداث كالشـارع الذى يظهـر فيه العفريت ممسـكا بعصا من نار... أو المدافن التى رأى فيها حلقة الذكر لبعض الجـن المؤمن... وكيف دخل وسـطهم فتفرقوا مذعورين وكيف التف حبل حول رقبته وكاد أن يخنقه.. وكيف رفع الحبل عنه شيخ وقور ثم اختفى من المكان.

كانت حكاياته مشـوقة تستحوذ على اهتمامنا... وتتركنا جميعا فى شد وجذب بين مصدق ومكذب... حتى جاء ذكر حارة كابر باشا.. وكيـف ظهر له العفريت هناك يجرى أمامه وخلفه راقصا كنا جميعا نعـرف تلك الحارة ونفضلها على غيرهـا فى لعبنا، كانت عبارة عن ممر ضيـق لا يزيد على ثلاثة أمتار اتسـاعا وعلـى جانبيها حدائق

الباشـا التى كانت دائما ما يحلو لنا تسـلق أسـوارها للحصول على ثمارها خلسـة... تلـك الليلة ترك حديثه فى نفوسـنا آثارا متباينة بـين مصدق ومكذب وطالـت مجادلاتنا نلتمس مـبررا يطمئن قلوبنا الخائفـة.. متحدين ذلك الخوف الدفـين بداخلنا والذى جعل أكثرنا لا يسـتطيع العـودة إلى بيته دون صحبـة... ومنا من حـاول إظهار شـجاعته فسـار وحيدا... كنا جميعا نعرف تلك الحـارة فى واضح النهـار فقـط.. أما فى الليل فلم يجرؤ أحدنا علـى الاقتراب منها.. أو دخولها لشدة سـكونها وظلمتها... تلك الليلة جادلت الأستاذ فى بعض ما قاله مشـككا فى قصته... لا أعـرف هل كنت أحاول طمئنة نفسـى المرعوبة، أم كان لمجرد المجادلـة... و حين رأى إصرارى، خاف من تأثير ذلك على بقية الرفاق، الشىء الذى ربما أفقده مكانته لديهم واستمتاعه بإنصاتهم إليه...

فقال: لابد أن تعلموا أن رفض الحقائق لا يلغى وجودها إن بعض الناس يمكنهم رؤية العفاريت والبعض الأخر لا يمكنهم ذلك.

صـادق بعضنا على رأيه وعارضته أنا بشـدة ووجدتنى فى موقف تحـدى، معلنا للأصدقاء أننى سـوف أعود إلى بيتـى عن طريق تلك الحـارة، حيث كانت إحدى الطرق المؤدية إلى بيتى، فقررت أن أؤكد هـل العفاريت موجودة فعلا بيننـا، أم هى أوهام، ولا وجود لها فى حياتنا.

وهكـذا مضيت وحدى عائدا بعد انقضاء السـهرة حتى وصلت إلى مدخل الحارة... دهمتنى ظلمتها وسكونها المطبق... تسارعت دقات قلبى بشـدة فتوقفت قليلا محاولا تهدئة نفسى... أخذت نفسا عميقا

وأنـا أردد بعـض آيات القرآن.. شـعرت ببعض الهـدوء يعاودنى، فسرت منتبه الحواس، مشدود الأعصاب لأى حركة غريبة قد تحدث أو صوت غير مألوف قد أسمعه.. سـرت على هذه الحالة حتى وصلت تقريبا إلى منتصف الحـارة، فاطمأن قلبى، أن محاولتى قد نجحت، وأننى كنت على صواب فلا يوجد شىء يسمى عفريت.

مشيت مستغرقا فى الحديث مع نفسى مؤكدا لها كلامى... وفجأة سمعت خلفى، صوت قرقعة عالية ارتعش لها جسدى خوفا، فوقفت مكانى ووقف معها شـعر رأسـى رعبا.. أنصت أتأكد مما سمعت هل هـى حقيقة أم تهيؤات؟..لم أسمع شـيئا فعاوت المشـى دون تردد.. ومرة أخرى ارتفعت القرقعة عالية من الخلف... آه... نفس الصوت.. ونفـس المصدر.. إذن هى حقيقة وليس وهما.. توقفت مرة أخرى وقد تسـمرت قدماى إلى الأرض... رحت أتلو بعـض آيات القرآن بصوت مرتفـع حتى يطمئن قلبى... ارتفع صوتى أكثر فأكثر متمنيا أن تصل إلى العفريت كما قال الأسـتاذ فينصرف عنـى.. ازداد صوتى ارتفاعا بالتـلاوة وأنا أنظر خلفى فلا أرى شـيئا.. ارتجـف صوتى الذى كان يخـرج بصعوبة مرتجفا.. أيمكن أن يكون كلام الأسـتاذ حقيقة؟ هل يوجد عفاريت يمكن أن تظهر لنا وتعاكسنا.. تذكرت مقولة أمى حين اخبرتها يوما عن كلام الأستاذ قالت: ما عفريت إلا بنى أدم.

اطمئن قلبى قليلا.. لملمت أشلاء شجاعتى المبعثرة، مستأنفا المشى للمرة الثالثة.. كانت خطوة واحـدة، ارتفع بعدها صوت القرقعة... ارتجف بدنى خوفا... آه... إنه خلفى.. نعم هو عفريت... يقف كلما وقفت، ويمشى إذا مشيت..أسلمت قدماى للريح وأنا أجرى بكل ما فى

من قوة للخروج من الحارة وأنا أرفع صوتى المرتعش بالتلاوة.. فكانت القرقعة ترتفع خلفى بشدة مع زيادة سرعتى.. اندفعت خارجا من الحارة دون توقف حتى وصلت إلى باب بيتى... وكان مازال الصوت خلفى.. إذن هو فعلا عفريت يتبعنى ولا يريد أن يتركنى.. إنه يلاحقنى يا آلهى ساعدنى... لم يتأثر بآيات القرآن الذى قرأته... هكذا هتفت من أعماقى وقد لفنى خوف عظيم، ولا أدرى كيف وصلت إلى باب البيت.. كان ضوء المصباح الموضوع أعلى الباب خافتا، ولكنه كان يبدد ظلمة المكان ويطمئن من كان مثلى يبحث عن قشة يتعلق بها... توقفت مستندا على الباب، مغمضا العينين، وصدرى يعلو ويهبط بشدة ودقات قلبى تسابق دقات يدى على الباب.. وحين فتحت أمى الباب.. اندفعت بشدة داخلا البيت فزعا، أرتجف وما زلت أسمع صوت القرقعة خلفى... نظرت أمى لى فى فزع وقالت:

بسم الله الرحمن الرحيم.. ماذا بك يا بنى.. ماذا جرى لك؟

وبصعوبة بالغة خرج صوتى مع أنفاسى اللاهثة.. عفريت.. عفريت يا أمى يتبعنى.. نظرت أمى فى وجهى وهالها ما بى.. صاحت قائلة:

هل كنت عند الأستاذ الليلة؟ هذا الرجل سوف يربى لكم الرعب

رحت أقص عليها ما سمعت وما حدث لى خلال عودتى، مؤكدا لها ما سمعت وما حدث لى وأنا أتهالك على المقعد سائلا: هل انصرف العفريت، أكيد كان عفريت يطاردنى... نعم كان عفريت.

دارت أمى حولى وأنا أتابعها بنظرى... إنها لا تصدقنى.. وفجأة... سمعنا صوت القرقعة يرتفع حولنا... تجمدت مكانى وأنا أنظر إلى أمى فى خوف... نظرت أمى حولى ثم انفجرت فى الضحك

وهى تشير إلى مصدر الصوت قائلة: الله يخيبك عفريت انظر العفريت الذى أخافك انظر!

نظـرت حيـث أشـارت... وهناك بجانـب قدمى، رأيـت علبة معدنيـة صغيرة ربطت بخيط. تتبعتـه إلى نهايته حيث وجدته قد علق بحذائى.. رفعت نظرى إلى أمى فى خجل، ولسـان حالى يقول... صدقت يا أمى ما عفريت إلا بنى أدم.

□□□

(١٣)
هناك فرق!!!!

دخلتُ لأقدم الشاى لضيوف البيه الدكتور... آه.. ها هى جارته عفت هانم.. امرأة فى الأربعين من عمرها، أنيقة ممشوقة القوام، حباها الله بجمال غير عادى تبدو عليها النعمة، جاورت الدكتور منذ فترة قصيرة... أرمل، اقتربت من المنضدة لأضع صينية الشاى... سبحان الله... أهذا لحم بشرى أم ماذا..؟ لا من المؤكد أن هذا قطعة المرمر مخلوطة بالشربات، كانت المرأة تضع رجل على رجل.. أيمكن أن تكون مكونات لحمها مثل مكونات لحم أم أحمد زوجتى... مستحيل... هذا شىء أخر... جاءت اليوم وحيدة سابقا كانت تحضر ومعها ابنتها... سبحان الله... كأنهما أختان ولا فارق بينهما... هذه هى الحريم وإلا فلا.. لها مدة تتقرب إلى الدكتور... فى البداية كانت تزوره هى وابنتها ليشربا الشاى معه.. سألت نفسى كثيرا... من منهم صديقة الرجل... ظننت أن المرأة تقرب بين ابنتها والدكتور ربما ترسم أن يتزوجها... ولكن تغير الوضع بعد فترة قصيرة، أصبحت تأتى وحدها... البيه الدكتور يقول كل اللحم له مكونات واحدة... كيف يكون هذا الذى أراه أمامى الآن مثل لحم أم أحمد كيف؟... طالت وقفتى ونظراتى إليها... حتى سمعت نحنحة الدكتور ينبهنى... أفقت من الغيبوبة التى انتابتنى.. هى

فعـلا غيبوبة حلمت فيهـا... أن يدى تلمس هـذا المرمر الوردى... خرجـت من الصالـون... ولكنى لم أذهب إلى المطبـخ وقفت على أول مدخـل المر ممـا يمكننى أن أراهـا... أه... ناس لهـا بخت وناس لهـا أم أحمد... لى مع الدكتور عشـر سـنوات... أعرفه تماما... هو لم يتـزوج... ولـماذا يتزوج... فهـو يهوى مصاحبة النسـاء... وكل واحدة أجمل مـن الأخرى... أخذت أحصيهـن... إنهن كُثر... لكن عفت هانم أجملهن... شـعرت بالغيرة من الدكتور... ذات يوم جئت قبـل موعد العمل بسـاعة، لأنجز بعض الأعمـال المتأخرة فى المطبخ رأيتهـا تهبط من الدور العلوى للفيلا... لم أشـعرها بوجودى... ألا يشبع هذا الرجل أبدا شعرت بسخونة تجتاح جسدى... هبو يأتى من داخلى منذ فترة لم أشعر بمثل هذه الإحساس اللذيذ... حالة تغمرنى عندمـا تتملكنى الرغبة الطبيعية منك لله يـا أم أحمد ضيعتى عمرى ونسـيت معك لذة النشوة التى أشـعر بها الآن... معكى أرانى أؤدى واجبا ثقيلا لا مفر منه... نعم عن رغبة منى ولكنه بدون توابل تجعل الوجبـة لذيذة الطعم... هذا الرجل أنانـى... لماذا لا يترك لى واحدة منهن... أى والله تكفينى واحدة منهن... سـأتزوجها على سـنة الله ورسوله... لن أقبل الحرام مثل البيه الدكتور... هذه الأوضاع المايعة لهـا أصحابها... صحيح أنـا غلبان وفقير ولكن رجـل... والله أجدع راجـل... وأجدع من البيه الدكتور كمـان... ولكن فين البخت... أم أحمد بجلبابها الأسود طوال الوقت... صحيح هى ترتدى تحته آخر لونـه أحمر... هو لا يراه إلا فى الليل عندما تنام... الأسـود يتحمل أخـاف على الأخر... هكذا تعلل أم أحمد ارتدائها الجلباب الأسـود

طـوال الوقت... تمنى أن تأخذها يد سـاحرة.. لتصبح بين يوم وليلة مثـل عفت هانم... أو غيرها من النسـاء المترددات علـى الدكتور... صحيح زوجته قرشـانه لكنها مازالت تملك بعض الجمال... ليست مثـل بنت العشـرين... وقوامها... يا سـبحان الله... مـاذا أقول... شجرة جميز... ثقيلة الحركة وهى معى تلهث فى صعوبة.. تشعرنى بالذنب... تضيع مع لهثاتها نشـوة اللحظـة... أتمنى أن تصبح مثل ماذا؟... عفت هانم غصن البـان... ياليتها تصبح نصفها... نصفها.. أو تصبح ربعهـا... أو حتة منها... يكفينى هذا الوجه الصبوح أنعم بـه... فيجعل يومى أبيض مثل وجهها... ولحمها... سـأتحمل كل ما يجرى لى بعد ذلك... وجهها فقط.. وجهها لا يكفى... فجسـدها هذا الجسـد المشـوق الجميل المكون من المرمر والشربات... كرش أم أحمد... سبحان الله ماذا تأكل تلك المرأة... هل تأكل من نفس مكونات ما تأكله عفت هانم، نعم نفس الطعام... فأنا أحمل مايتبقى من طعام فى مطبـخ الدكتور أخر الليل لأخذه إلى بيتـى... نفس الأكل ونفس مكوناتـه... لكن هناك فرق... أكيـد هناك فرق... تنبهت من حلمى على نداء الدكتور، أسـرعت فى فـرح.. فرصة لأملى نظرى منها عن قرب مرة أخرى... دخلت وأنا أبتسـم فظهرت سـنتى الفضية والتى أصبحت علامة مميزة لى... أجبتها بعد أن سـألتنى عنها.. وأنا أنظر إلى عينيها... أصدقائى أطلقوا على منذ ركبتها بالسـيد أبو سـنة... ضحكـت فى نعومة... تطلعـت إلى وجهها فى هيام... نظرت إلى فى دلال... ثـم أخذتها بروح الفكاهة وابتسـمت وهـى تقول: حلوة... إيه يا سيد سامعنى... هكذا صاح الدكتور انتبهت لقوله فقلت: نعم..

نعـم يا بيه تحـت أمرك... قال الدكتور عفت هانم سـتتناول الغداء معـى غـدا... اعمل لهـا كل ما تأمرك به من طعـام... حاضر حاضر يا بيـه... كنت أجاوبه وأنـا أنظر لعفت هـانم... وجدتها تبادلنى نظرة حانية... شـعرت بعدها كأننى لمسـت سلك كهرباء فولت عالى غمر كيانى كله... سألت نفسى... هل تحركت الحاسة السادسة لدى المرأة... وعرفت أننى أهواها... أيمكن أن تكون قد شعرت بحبى لها وإعجابى الشديد ولهفتى للمسها... صحيح أنا فقير... وخادم... لكن وسـيم ليس بقبيح... لى جسـم رياضى ذو عضلات بـارزة حبانى الله بصحة وشباب... صحيح فقير لكن راجل.. وجدع... ظللت أنظر إليها فـى انتظار أن تأمرنى بما تريد... فرصـة أملى عينى من جمالها... إنها تتكلم الآن... هذه الأسـنان اللـولى التى أضاءت حين تكلمت... جمدت فى مكانـى أنظر إليها... أتمنى أن يقف الزمن وتسـتمر فى كلامها.. قالت المرأة كلام كثير لم أسمع منه شـىء... وأخيرًا تنبهت حين قالت: سـيد... سمعتنى... أفقت من نشـوتى... قائلا نعم نعم يا سـت هانم قالت: لا أنت النهاردة مش طبيعى... بقولك إيه تعالى عندى بكرة إلى شقتى... سوف أقول لك ما أريد... اتفقنا... بس تعالى بدرى... تعالى بدرى..

ظللت سـاهدا الليل بطوله... أسأل نفسـى... وفى الصباح ذهبت إليها... وانقطعت هى بعدها عن زيارة الدكتور؟؟؟!!!

□□□

(١٤)

خيوط العنكبوت

ظل ممددا فى الفراش ساهما يحملق فى سقف الحجرة... لا يشعر بالرغبة فى النهوض... ولا فى النوم.. يشعرفقط بالغربة... تمنى أن يظل هكذا حتى نهاية عمره... نهاية عمره... ظل الخاطر يلح عليه.. نهايــة عمره... نهاية عمره... يمكنه أن يعجــل به بيده... نعم... فلينتحر... نعم ينتحر... هذا هو الحل... كانت عيناه مركزتان على بيــت العنكبوت الذى يملأ ركن ســقف الحجــرة يصول ويجول على خيوط مصيدته الواهنة... ونســمات الهواء تأتى من النافذة تؤرجحه يمينــا وشمالا... وهو معلــق بها لا يتزحزح عنهــا... ثابت لا يكل ولا يمــل... عاد إلى فكرته.. نعم وصل أخــيرا إلى الحل الذى يريحه مما هو فيه... ماذا بعد ما حدث يجعله يتشــبث بهذه الحياة لم يعد له شىء يحفزه على البقاء.. لأول مرة بمحض إرادته سيفعل شيئا... طوال عمره لم يســتطع أن يفعل شيئا دون أن يُمْلَ عليه من غيره حتى علاقته مــع غادة... غــادة... آه... انتباته رغبة فــى البكاء... لماذا يتذكرهــا... فى الوقت الــذى يريد أن يمحوها مــن ذاكرته؟ بل من حياتــه كلها... كان يعيش فى وهم كبير... ظن أن حبها هو الحقيقة الوحيــدة فى حياته التى تمكن أن يتخذ فيها القرار بنفســه... لفت نظــره معركة دائرة بــين العنكبوت وذبابة أوقعها ســوء حظها فى شباكه كانت المعركة بينهما على أشُدَهَا... انصرف عن المشهد وعاد إلى

أفكاره كان حبه لغادة سره الدفين الذى لم يعرفه غيرهما... خاف أن يعلن رغبته لأمه المريضة خوفا عليها من تداعيات مرض القلب الذى تعانيه... أخفى رغبته فى الزواج من غادة لعلمه أنها ستعارض... هو يعلم مدى حبها له فهو وحيدها، عاشت له وبه طوال أيامها بعد ترملها... هى لا تتحمل أن يتزوج وينشغل بغيرها تعمل كل ما فى جهدها لتحتفظ به بجانبها إلى الأبد... لذا دفن سره فى قلبه متمنيا أن تفهمه غادة وتساعده حتى يستطيع الوقوف ضد معارضة أمه دون أن يتخلى عنها أو يغضبها... ولكن غادة كانت متسرعة كعادتها... لم تصبر عليه حتى تسنح له الفرصة المناسبة لمصارحة أمه... تزوجت من الأخر... لم تفهمه اعتبرت طلبه منها أن تصبر ترددا فى الزواج منها... غبية هو كان يحبها ويحلم بها بجانبه تغدق عليه حنانها وحبها... هو يعترف بأنه فى كثير من الأحيان كان جبانا أمام أمه... لا يحاول أن يدخل معها فى تفاصيل أحلامه... وجبانا مع غادة فلم يترجم أحلامه لها بل عاش واقعه مستسلما لظروف مرض أمه دون مقاومة... عاد يركز عيناه على ما يدور هناك فى ركن السقف بين العنكبوت والذبابة... كل منهما يجاهد لينتصر على الأخر.. الذبابة تجاهد لتحتفظ بحياتها والعنكبوت يجاهد ليضمن وجبة لغذائه... كل منهما له هدف مختلف عن الأخر... تذكر أخر مقابلة له مع غادة التى سمع فيها تلك العبارة التى كان يكره سماعها: أنت ستظل خجولا هكذا دائما.

كانت تلك العبارة تزيده خجلا... غادة لم تفهمه أبدا.. حاول كثيرا أن يقربها من فكره حتى توفر عليه مشقة الشرح والإسهاب فيما يشعر... ولكنها كانت متعجلة دائما فى كل شىء... حاول أن

يبعـد فكره عنها... ولكنه لم يسـتطع مازالت فى أعماقه برغم مرور أسبوع على افتراقهما، إنه يتذكر أخر كلمة قالتها: سأنتظر إلى متى؟ العمر يجرى ليس من المعقول أن أرهن سعادتى وتحقيق أملى بفرصة تواتيك تستطيع فيها أن تفاتح والدتك... إلى متى ستظل مترددا هكذا جـاء لى خاطب ولم أسـتطع رفضه ليس به عيب واحد لم اسـتطع أن أرفضه.

يومها شعر بغصة فى حلقه... تجمدت دماءه... لسانه لم يتحرك عندمـا حاول أن يتكلم خانته شـجاعته... عندمـا حاول أن يمد يده ليمسـك يد غادة حين همت بالانصراف ولكنه لم يستطع... انصرفت وظل هو جالسـا فى مكانه... ولم يشعر كم من الوقت مضى عليه وهو جامد لا يتحرك... لم يحاول اللحاق بها... لفت نظره حركة سريعة مـن العنكبوت يكبل بها صيده بعد أن كانت على وشـك الهروب... هـو لم يحاول ذلك مع غـادة تركها تذهب.. لم يسـتطع اللحاق بها أو حتى النداء عليهـا لم ينطق... لم يحاول... لم يحاول والآن يفكر فـى الانتحار... لماذا الانتحـار الآن... هو لم يبذل أى محاولة للفوز بغادة... تركزت عينيه مرة أخرى على ركن السـقف وجد العنكبوت يترك فريسته ويعود إلى أحد أركان بيته بعد أن ثبت فريسته.. ترى هل أنا أقل شجاعة من هذه الحشرة الصغيرة.. هذا العنكبوت الرهيف يجاهد بهذه الهمة والإصرار ليفوز بفريسته ويحقق هدفه... وأنا؟؟؟؟ نهض من فراشه... وهو يردد: وأنا وأنا أفكر فى الانتحار!!!! حقا إن الإنسان كان جهولا ما أظلمه!!!!

الفهرس

- إهداء..... ٣
- وجع الغلابة..... ٥
- زمن دوار..... ٢٠
- حكاية أمينة هانم..... ٢٣
- أين ابنتى..... ٣٠
- حيرة زوج..... ٣٥
- خطوات على الأسفلت..... ٣٨
- السياسة على طبق فول..... ٤٢
- فداؤك يا وطن..... ٤٤
- قدر ولطف..... ٤٧
- قطعة السجاد القديمة..... ٥٢
- قلب الأم..... ٥٥
- لحظة خوف..... ٦٢
- هناك فرق..... ٦٧
- خيوط العنكبوت..... ٧١